وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر –بسكرة–

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

أسلوب الالتفات بمقامات الضمائر

- سورة يونس أنموذجا -

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصّص: علوم اللسان العربي

إعداد الطالبة:

منى رابحي.

إشراف الدكتورة :

دليلة مزوز

السنة الجامعية:

1436/1435هـ

2014 /2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وعرفـــــان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا في هذا العمل الذّي نرجو أن يكون من صالح الأعمال، كما نشكر الوالدين الكريمين فنسأل الله أن يحيطهما بحفظه، كما نتقدم بالشكر الجزيل والاحترام إلى الأستاذة الفاضلة الدكتورة "**دليلة مزوز**"، التي أدّت واجبها على أكمل وجه، وكانت نِعم المشرف والمرشد.

كما لا ننسى في هذا المقام الدكتورة " **فوزيّة دندوقة**" التّي لم تتوانَ في مدّيد العون لنا وكل من ساهم من قريب أو من بعيد من زملائنا الطلبة وأساتذتنا الكرام، فلا يسعنا سوى الدعاء لهم بأن ينير الله دربهم للجنّة، فلكم جميعا كلّ الشكر.

مقـــــــــــــــــدمة

لقد نزل القرآن الكريم إعجازا من الله تبارك وتعالى للعرب الذّين عُدّوا أرباب بيان باعتبار أنّهم كانوا ذوّاقين للكلمة، يتميّزون بحسن النظم، وهذا ما تجلّى في أشعارهم وخطبهم حيث تميّزت بالألفاظ القويّة والجماليّة في الطرح، إلى أن نزل عليهم القرآن الكريم، فذُهلوا من روعته وبلاغته، حيث بيّن لهم ضعفهم وتخلّفهم رغم ما بلغوه، فعجزوا عن مجاراته أو الاتيان بآية من مثله، ومن هذا المنطلق كان القرآن الكريم محلّ اهتمام العلماء والدارسين القدماء والمحدثين، حيث حاولوا تِبيان إعجازه سواء في ألفاظه أو معانيه، فظهرت علوم قائمة بذاتها اهتمّت بالجوانب المتعلقة به، من فقه وتفسير وبلاغة وغيرها، فظهرت هذه الدراسات بظهور هذا البيان الخالد، وذلك راجع لتنوّع أساليبه وطُرق خطابه، ومن بين هذه الأساليب التّي كانت محلّ اهتمام البلاغيين أسلوب **الالتفات**، الذّي ورد بشكل غير قليل في القرآن الكريم، فهو انتقال من حالة معينة إلى حالة أخرى ملفتة للذهن لخروجها عن مقتضى الظاهر، ويكون هذا الانتقال لغرض معيّن يسعى المتكلم الوصول إليه .

وبناء على ما تقدّم تُطرح الإشكالية التالية: لماذا عدُّت الضمائر هي السمة المميّزة للالتفات والتي يُعرف بها؟ .

وقد خُصِّص مجال هذا البحث لدراسة هذه الظاهرة اللغوية على القرآن الكريم وبالضبط في سورة يونس، فكان البحث موسوما ب **" أسلوب الالتفات بمقامات الضمائر".**

ولقد جاءت هذه الدراسة بدافع اِكتشاف بعض من أسرار البلاغة القرآنية بالإضافة إلى الطابعِ اللغويِّ الخاصِّ، الذّي يحمله القرآن الكريم في مفرداته وتراكيبه، وأسلوبه، كذلك إبراز أهمّ الجوانب التّي يتميّز بها القرآن الكريم عن غيره من كلام البشر.

وإنّ الهدف من البحث هو الإجابة عن إشكالياته من خلال الوقوف على جلّ الالتفاتات الواردة في السّورة وتحليلها وبيان فوائدها، لأنّ الفائدة من وراء الالتفات تتنوّع بحسب مقام الخطاب وقد تمّ الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة هذا اللون البلاغيّ، نظرا للعلاقة التي تربط بين طبيعة الموضوع والمنهج، وذلك باتّباع الخطّة التالية: بين المقدمة والخاتمة، مدخل وفصلين، **المدخل** تأسيسي تحت عنوان: الأسلوب والالتفات والضمير مفاهيم و تجليات ،فخُصّص للمفاهيم العامّة لكلّ من الأسلوب والالتفات والضمير لغة واصطلاحا عند كلّ من القدماء والمحدثين، كذلك تمّ فيه إبراز العلاقة بين الأسلوب والالتفات، أمّا **الفصل الأول** المعنون بشروط وصور الالتفات في سورة يونس فقد احتوى على أربعة عناصر أوّلها: شروط الالتفات، وثانيها فوائد الالتفات، ليليها حجاجيّة الالتفات أمّا العنصر الرابع فكان حول صور الالتفات الواردة في سورة يونس، ثمّ يلي بعد ذلك **الفصل الثاني** الموسوم بالالتفات بمقامات الضمائر فأُدرج ضمنه أشهر أنواع الالتفات

والذّي يُعرَف به وهي مقامات الضمائر بأنواعها الستّة وهي: من التكلم إلى خطاب، ومن التكلم إلى الغيبة، ومن الخطاب إلى التكلم، كذلك من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم ومن الغيبة إلى الخطاب، ثم يلي هذا الفصل **الخاتمة** التّي تمّ التركيز فيها على أهمّ النتائج المستنبطة من البحث.

واعتُمد لإنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية لحسن طبل، وأسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره لمصطفى شريقن باعتبارهما أهم كتابين تناولا هذه الظاهرة بالتفصيل في العصر الحديث إضافة إلى لسان العرب لابن منظور، والخصائص لابن جنّي، الصاحبي لابن فارس البرهان في علوم القرآن للزركشي، ... وكتب التفسير التي من بينها: الكشّاف للزمخشري تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وتفسير الألوسي، وتفسير القرطبي ... إلخ.

ولولا معيّة الله سبحانه وتعالى وعونه لما تمّ التمكن من إتمام هذا البحث نظرا لوجود مجموعة من الصعوبات أهمها: صعوبة البحث في القرآن الكريم، وتوخي الحذر في دراسته.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أسأل الله عز وجل بمنّه وفضله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم رغم ما فيه من نقصان.

مدخـــــل: الأسلوب والالتفات والضمير مفاهيم وتجليات

أولا: مفهوم الأسلوب:

1- لغة.

2- اصطلاحا:

أ-عند القدماء

ب-عند المحدثين

ثانيا: مفهوم الالتفات:

1- لغة

2- اصطلاحا:

أ-عند القدماء

ب-عند المحدثين

ثالثا: مفهوم الضمير:

1- لغة

2- اصطلاحا:

أ-عند القدماء

ب-عند المحدثين

رابعا: الأسلوب والالتفات أي علاقة بينهما؟

أولا/ مفهوم الأسلوب:

1/ لغة: ورد في قاموس المحيط مفهوم الأسلوب بمعاني مختلفة منها:

«سلب وسلبه سلبًا: اختلسه، والسليب المستلب العقل، جمع: سلبي، وناقة وامرأة سالب وسلوب وسليب ومستلب، وسُلب: مات ولدها أو ألقته لغير تمام، وأسلب الشجر: ذهب حملها، وسقط ورقها، والأسلوب الطريق، وعنق الأسد، والشموخ في الأنف». (1)

«ويُقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتدّ فهو أسلوب، والأسلوب: الوجه والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويُجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضمّ: الفن، ويُقال: أخذ فلان في أساليب من القول؛ أي أفانين منه، وإنّ أنفه لفي أسلوبٍ إذا كان متكبرا». (2)

2/ اصطلاحا:

لقد أجهد العديد من النقّاد والدارسين أنفسهم قديما وحديثاً في إعطاء مفهومٍ عامٍ للأسلوب، لذلك تعدّدت النظرة إليه، فبعض الباحثين تقاربت تعاريفهم وبعضها اختلف، وكان للعرب نصيب من هذه الدراسات خاصة القدامى منهم:

(1) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، مادة (س ل ب)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1999، ج1، ص 110، 111.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (س ل ب)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1997، ص 314.

أ/ الأسلوب عند القدامى:

يعدّ "الجاحظ" (225 هـ) من بين أهمّ النقّاد والأدباء القدامى الذّين تحدّثوا عن الأسلوب وأهميته، كما تحدَّث عن النظم، وبيّن أنّه: حسن اختيار لفظ المفردة اختيارا موسيقيًا يقوم على سلامة جرسها واختيارًا معجميًا يقوم على أُلفتها، وآخر إيحائيًا يقوم على الأثر الذّي تتركه الكلمة في النفس، وكان الجاحظ أوّل من أثار في كتابه "البيان والتبيين" فكرة تباين مستويات الأداء اللغوي الذّي يرجع إلى تفاضل النّاس فيما بينهم، كما برزت فكرة النظم عنده بمعنى النسق الخاص في التعبير والطريقة المميّزة في التراكيب. [1]

لقد أورد "الجاحظ" مفهومه للنظم على أنّه حسن اختيار الألفاظ التّي تحمل جرسا موسيقيا، وضمّ هذه الألفاظ فيما بينها ضمًّا فيه تناسق وتآلف، وهو أوّل من أثار في كتابه "البيان والتبيين" فكرة تباين مستويات الأداء اللغوي، وهذا راجع إلى تفاضل النّاس فيما بينهم.

أمّا "عبد القاهر الجرجاني" (471 هـ)، فقد جعل الأسلوب كلاما على النظم الذّي هو أشمل وأعمّ دلالة من الأسلوب، وقد استعمل كلمة الأسلوب وعني بها: «الضرب من النظم والطريقة فيه» [2].

كما نجده قد ربط بين نظم الكلام وتوخي معاني النحو فنجده يقول: «واعلم أنّ ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذّي يقتضيه علم النحو...». [1]

(1) ينظر: يوسف أبو العدوس، الأسلوبية رؤية وتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 11، ص12.

(2) بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، مكتبة إقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2006، ص 162.

إنّ مفهوم الأسلوب عند "عبد القاهر الجرجاني" يرتبط بمفهومه للنظم، من حيث كونه نظم للمعاني وترتيبا لها، والنظم عنده لا يتحقّق إلاّ عن طريق تتبّع القواعد النحويّة، مع حسن الاختيار والتأليف، والأسلوب عنده هو الطريقة الخاصّة في التعبير؛ فالجرجاني ركّز على النظم واعتبره الركيزة الأساسيّة للوصول إلى التميّز.

ب/ الأسلوب عند المحدثين:

لقد تعدّدت النظرة إلى الأسلوب من طرف الأدباء والنقّاد لكنّه في مفهومه العام يعني الطريقة الخاصّة التّي يتّبعها الأديب في كتاباته والتّي تميّزه عن غيره، وهذا راجع إلى مزاجه وثقافته و«الأسلوب منذ القِدم كان يلحظ في معناه ناحية شكليّة خاصة، وهي طريقة الأداء أو طريقة التعبير التّي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغويّة، ولا يزال هذا هو تعريف الأسلوب إلى اليوم». [2] ويُنظر إلى الأسلوب على أنّه: «تغييرات تطرأ على الطريقة التي تُطرح من خلالها المعلومات؛ مما يؤثّر على طابعها الجمالي أو على استجابة القارئ العاطفية». [3]

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، تعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2001، ص 70.

(2) أحمد الشايب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط8، 1991، ص 41.

(3) محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، لبنان، (ط1)، 1992، ص 11.

فنجد مثلا "رولان بارت" قد ركز على الجانب الفرداني في تعريفه للأسلوب؛ حيث يقول: «الأسلوب هو شيء الكاتب هو روعته، وسجنه إنّه عزلته». [1]

وعلى هذا النحو عرّفه "بيار جيرو" وقال بأنّه: «طريقة في الكتابة، وهو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبيّة». [2]

وعرّفه أحد المفكرين قائلا: «يُطلق على الأسلوب ما ندر ودقّ من خصائص الخطاب التي تُبرز عبقرية الانسان وبراعته فيما يكتب أو يلفظ». [3]

أمّا "أحمد الشايب" فقال: «كلّ انسان أمّة واحدة فيما يصله بالحياة متأثرا ومُؤثرا...ونتيجة ذلك أنّ الأديب حين يعبِّر عن شخصيته تعبيرًا صادقًا، يصف تجاربها ونزاعاتها ومزاجها، وطريقة اتّصاله بالحياة، وينتهي به الأمر إلى أسلوب أدبي ممتاز في طريقة التفكير والتصوير والتعبير، هو الأسلوب المشتقُّ من نفسه هو من عقله وخياله ولغته». [4]

وما نستخلصه من هذه المفاهيم أنّها جميعها تتّفق على أنّ الأسلوب هو طريقة الكاتب في التعبير، هذه الطريقة تَبرُز فيها شخصيّته من خلال اختياره لألفاظ معيّنة دون سواها ونسجها في جمل وعبارات، هذا النسج يكون مرآة عاكسة لشخصيته، وثقافته.

(1) بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد المعاصر، ص 158.
(2) بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، ص 158.
(3) عبد السلام المسدي، الأسلوبيّة والاسلوب، الدار العربية للكتاب، الأردن، ط3، (دس)، ص 7.
(4) المرجع نفسه، ص 127.

ثانيا/ مفهوم الالتفات:

1/ لغة:

ورد في لسان العرب معنى الالتفات، من «لفت، لَفَتَ وجهه عن القوم؛ صرفه، والتفت والتلفت أكثر منه. وتلفّت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه، قال:

أرى الموت، بين السيف والنطع، كامنا يلاحظني من حيث ما أتلفّت

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ ﴾أمر بترك الالتفات لئلاّ يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب، وفي الحديث في صفته صلى الله عليه وسلم: فإذا التفت التفت جميعًا أراد أنّه لا يُسارق النظر، وقيل: أراد لا يلوي عنقه يُمنة ويُسرة، إذا نظر إلى الشيء، ... وفي الحديث: فكانت منِّي لفتةٌ هي المرّة الواحدة من الالتفات واللفت: اللَيُّ ولفتة يلفتة لفتًا: لواه عن غير وِجهته، وقيل اللّيُ هو أن ترمي به إلى جانبك، ولفتة عن الشيء يلفته لفتا: صرفه.اللفت: الصرف: يقال ماَ لَفَتَك عن فلان أي ما صرفك عنه ؟.واللفت ليُّ الشيء عن جهته كما تقبض على عنق انسان فتلفته».[1]

وهذا ما ذهب إليه "الراغب الاصفهاني" (502 هـ) في تعريفه لمفردات القرآن الكريم يقول: «لفت: يُقال لفته عن كذا صرفه عنه، قال تعالى﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا ﴾ أي تصرفنا

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ل ف ت)، ج 3،ص 84.

ومنه التفت فلان إذا عدل عن قِبَله بوجهه، وامرأة لفوت تلفت عن زوجها إلى ولدها من غيره، واللفيتة ما يغلظ من العصيدة».[1]

إنّ المعنى اللغوي للالتفات يدور في معظمه حول معاني الصرف، والانحراف، والتحول من حال إلى حال أخرى.

2/ اصطلاحا: إنّ المفهوم العام للالتفات عند البلاغيين هو: «التحول من معنى إلى آخر، أو عن صغيرٍ إلى غيره، أو عن أسلوب إلى آخر» [2]، وهو: «ظاهرة تحول اسلوبي يقوم به منشئ الخطاب على نحو يحقق من خلاله في كل صيغة، وفي كل سياق دلالة تؤُول على النص بالفائدة». [3] ولقد لقي هذا الأسلوب اهتماما كبيرا من طرف العلماء القدامى، حيث حفلت كتبهم بدراسته.

أ/ الالتفات عند القدماء:

إن أوّل من تطرق إلى الالتفات هو " أبو عبيدة معمر بن المثنى" (209 هـ) يقول: «ومن مجاز

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط)، (دس)، ص 452.

(2) فتح الله احمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري دراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (دط)، 2004، 223.

(3) عباس يونس الحداد، الأنا في الشعر الصوفي، ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار، سوريا، ط2، 2009، ص 105.

ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال تعالى﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ ،أي بكم». [1]

ويرجع الفضل في تسمية المصطلح إلى "الأصمعي" (216 هـ)؛ حيث ذُكر أنّه من الأوائل الذّين ذكروا مصطلح "الالتفات" وذلك: «حين سَأل اسحاق الموصلّي بقوله: أتعرف التفات جرير؟ قال: لا، قال: فأنشدني قوله:

اتنسى إذا تواعدنا سليمى بعود بشامة سقي البشام

أما تراه مقبلا على شِعره حتى إذا التفت إلى البشام فدعا له». [2]

أمّا "ابن جنّي" (392 هـ)، فلم يذكر في كتابه الخصائص الالتفات، إنما وُجد ماله صلة به في الفصل الذي سمّاه "الحمل على المعنى" يقول: «إعلم أن هذا الشرج غورٌ من العربية بعيد، ومنصب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن، وفصيح الكلام منثورًا ومنظومًا، كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد (...)فمن تذكير المؤنث كقوله تعالى:﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ لأن الموعظة والواعظ واحد». [3]

(1) مصطفى شريقن، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، (دط)، 2009، ص 91.

(2) عبد الناصر هلال، الالتفات البصري في النص إلى الخطاب (قراءة في تشكيل القصيدة الجديدة)، دار الإيمان للنشر والتوزيع، (دب)، (دط)، ص 20.

(3) ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، (دس)، ج2، ص 411.

كما نجد أن احمد "بن فارس" (395 هـ) قد اورد أغلب صوره في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها" ووزعها على أبواب مختلفة، نذكر من بينها:" باب الواحد يراد به الجميع، قال: «ومن سنن العرب ذكر الواحد والمراد به الجميع، كقوله للجماعة ضيف وعدو، قال جلَّ ثناؤه ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴾ الحجر»، وباب تحويل الخطاب من الشاهد إلى الغائب، قال: «العرب تخاطب الشاهد ثم تحوّل الخطاب إلى الغائب (...) وفي كتاب الله عز وجل﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾ الروم [39]» [1]، وغيرها من الأبواب كثير.

ولقد عرّفه "أبو هلال العسكري" (395 هـ) قائلا: «الالتفات على ضربين فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى، فإذا ظننت أنّه يريد أن يُجاوزه يلتفت إليّه، فيذكره، بغير ما تقدم ذكره به، والضرب الآخر أن يكون آخذا في معنى وكأنّه يعترضه شكٌ أو ظنٌ أنَّ رادًا يردُّ قوله أو سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعًا إلى ما قدّمه». [2]

كما نجد السيوطي (911 هـ) قد اورده بمعنى الاعتراض؛ حيث نجده يقول: «الاعتراض وسمّاه قدامة التفاتا، وهو الإثبات بجملة أو اكثر لا محل لها من الإعراب في أثناء كلام أو

(1) ابن فارس الصاحبي، في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، (دط) 1963، ص 211، 212.

(2) إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 1996، ص 208.

كلامين، اتصالا، معنى لنكتة غير دفع الإبهام كقوله تعالى﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ﴾، فقوله سبحانه اعتراض لتنزيه الله سبحانه وتعالى عن البنات والشناعة على جاعليها [...] ووجه حسن الاعتراض، حسن الإفادة، مع أن مجيئه مجيء ما لا يترقب فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب». (1)

وتجدر الإشارة إلى أنّ الالتفات عند القدماء لم يثبت على مصطلح واحد، فقد تعدّدت تسمياته «فنجد "عبد الله القرطبي (671 هـ) يُطلق عليه اسم التلوين، ويراه حازم القرطاجنّي (684 هـ) صورة من صور الانعطاف الجميل». (2)

وكذلك أُطلق عليه: العكس، والانصراف، والاستدراك، والاعتراض والصرف، والعدول ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية، وهي مصطلحات تصبُّ في خانة واحدة وهي: الالتفات.

إضافة إلى تضارب هذا المصطلح وتعدُّده، نجد كذلك مشكلة تصنيفه، فهناك من العلماء من عدّه من علم المعاني، وهناك من عدّه من علم البديع، وآخرون عدّوه من علم البيان، يقول "الشريف الجرجاني" (816 هـ) :«ذهب بعضهم إلى أنّ الالتفات، من حيث إنّه اشتمل على نكتةٍ هي

(1) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (دط)، (دس)، ج2، ص 97.
(2) ينظر: محمد شريقن، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، ص 107، 108.

خاصية التركيب من علم المعاني، ومن حيث إنّه إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في الوضوح والخفاء من علم البيان، ومن حيث إنّه يُحسِّن الكلام ويُزيِّنه من علم البديع». [1]

ب/ الالتفات عند المحدثين:

وإذا ما انتقلنا إلى دراسات المحدثين لتَبَيُّن موقفهم من أسلوب الالتفات، لا نجدها معمقة شافية وافية لهذا الموضوع، ونجدهم في الأغلب يُدرجون في مفاهيمهم ما جاء به القدامى.

فنجد مثلا "رجاء عيد" قد عدّه من علم المعاني، وقال بأنّه: «نسق أدائي خاص في بناء الجملة». [2]

كما أشار إلى تضارب البلاغيين حول القيمة الفنيّة للالتفات؛ حيث عاب على "الزمخشري" قوله بأنّه إيقاظ للسامع واستمالة للإصغاء، وبيّن أنّ "ابن الأثير" قد كان مدركا لقيمته الفنيّة حين ردّ على "الزمخشري" قوله، وقال بأنّ هذا قدح في الكلام لا وصفٌ له، لأنَّه لو كان حسنًا لما ملّ. [3]

أمّا "تامر سلّوم" في كتابه "نظرية اللغة والجمال في النقد العربي" قد أورد بعض القضايا التي تناولها "أبو عبيدة معمر بن المثنى" مثل التقديم والتأخير والحذف وغيرها في كتابه "مجاز القرآن" فنجده يقول عنه إنّه «لم يستطع أن يتلمس التأثير النفسي لطابع التعبير، ولا أن يُتابع

(1) الشريف الجرجاني، الحاشية على المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم (في علوم البلاغة)، تعليق: رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 161.

(2) رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف بالإسكندرية، الاسكندرية، مصر، ط2، (دس)، ص 479.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 479، 480.

إيحاءاته الأدبيّة إلاّ في ضوء الاحتفال بتعريف الأشياء وتقسيماتها [...] ويتجلّى لنا شحوب هذا الموقف إذا اقتربنا من بعض النصوص». [1]

وتطرّق إلى مقتطفات من الكتاب من بينها الالتفات حيث قال: «...ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قوله تعالى﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾أي بكم» [2]، وتجاوز الآراء التي أدرجها "أبو عبيدة" في قوله دون أيِّ تعليق.

ونجد "عبد الجليل مرتاض" يشير إلى أنّ الالتفات: «تراكيب عتيقة وأصيلة، وأنّه تركيب يدخل في صميم الخطابات الإبداعيّة لما فيه من تنويع بطرق تقنيّة عالية وسر ذلك أن الانتقال بصورة مفاجئة من خطاب إلى غائب أو العكس أو الانطلاق من الغائب مرورًا بضمير المتكلم...ليس من الأمور الهينة في أي خطاب أدبي». [3]

فالالتفات عنده لا يخرج عما أورده علماء البلاغة باعتباره انتقالات بين الضمائر وفق الطرائق المعلومة.

والملاحظ على مفاهيم الالتفات عند المحدثين أنّها لا تخرج عمّا أورده القدماء في تعاريفهم، فلم يأتوا بأي جديد.

---

(1) تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، (ط1)، 1983، ص 146.

(2) ينظر: رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ص 147.

(3) مصطفى شريقن، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، ص134.

ثالثا/ مفهوم الضمير:

1/لغة:

ورد في تاج العروس "الضمير" من: «[ضمر]: الضُّمْرُ: بالضمِّ وبضمتين مثل: العُسْرِ والعُسُرِ: الهزال، ولحاق البطن،... والضَّمْرُ بالفتح: الرجل الهضيم، ونصُّ التهذيب المهضَّم البطن، اللطيف الجسم، والضمر أيضا: الفرس الدقيق الحاجبين، وأضمرت الأرض الرجل إذا غيّبته إما بسفر أو بموت». (1)

و«ضمر الفرس وَغِيرُهُ وضمُر يضمر ضمورًا (من باب نَصُر وكَرُم) هزل ولحق بطنه؛ أي هضم، وضمرت الحبّة بعد القلي وهي يابسة انضمّت ولطفت، والضمير العنب الذابل والسرُّ وداخل الخاطر، ومنه الضمير للقوّة المخلوقة داخل الانسان للتمييز بين ما يجوز عمله، وما لا يجوز، وهو حسّ داخلي ينبّه على الحلال والحرام ناهيا عن الأخير، جمع ضمائر، والضمير عند النحاة ما دلّ على متكلم كأنا أو مخاطب كأنت أوغائب كهو». (2)

فالمعنى المعجمي العام للضمير يدور حول صغر الشيء ودقّته وخفائه واستتاره.

(1) مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (ض م ر)، تح: علي شيتري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1، مج7، 1994، ص 130، 131.

(2) المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط، مادة (ض م ر)، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، (دط)، 1998، ص 539.

2/ اصطلاحا:

لقد أسهب النُحاة في الحديث عن الضمير، وبيَّنوا أنَّه سُمِّيَ ضميرا لكثرة استتاره، وللضمائر أهميَّة كبيرة لأنَّه بواسطتها نتفادى التكرار سواء كانت كلمة أو جملة أو ما شابه ذلك، كما أنّها تربط بين أجزاء النص المختلفة.

وقد «قُسِّمت الضمائر في ضوء معانيها إلى ضمائر المتكلم والخطاب والغيبة، وباعتبار استعمالها إلى مستترة وبارزة، والبارزة إمّا منفصلة أو متصلة» [(1)]، و«سُميَّت ضمائر لأنَّ المتكلم يُضمرها ولا يُظهرها كإضمار اسم المخاطب أو يُظهر المتكلم اسمه أو يُضمر اسم الغائب». [(2)]

ولقد حظيت الضمائر بدراسة مفصّلة وافية في الدرس النحوي العربي القديم.

أ/ عند القدماء:

تُعدُّ الضمائر معارف، إذا دلّت على شيء معلوم، وهذا ما أكده "سيبويه" (180 هـ) في ""الكتاب"؛ حيث أدرجها ضمن باب (هذا مجرى نعت المعرفة عليها)، وقال بأنَّ المعرفة خمسة أشياء من بينها الإضمار؛ حيث يقول: «وأمَّا الإضمار فنحو هو، وإيَّاه وأنت، وأنا، ونحن وأنتم وأنتنّ، وهنّ، وهم، وهي، والتاء في فعلت، وفعلتِ، وما زِيد على التاء [...] والواو التّي في فعلوا

(1) شكر محمود عبد الله، الجملة الاسمية في القرآن الكريم، دار دجلة، ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، (ط1)، عمان الأردن 2009، ص 127.

(2) حمدي الشيخ، الوافي في تسيير النحو والصرف، الكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر، (دط)، 2009، ص 305.

والنون والألف التي في فعلنا في الاثنين، والجميع، والنون في فعلن، والاضمار الذّي ليس له علامة ظاهرة نحو: قد فعل ذلك، والألف التي في فعلا، والكاف والهاء في رأيتك ورأيته، وما زيد عليهما [...]، والكاف والهاء اللتان في بك وبه وبها، وما زيد عليهنّ [...] والياء في غلامي وبي»[1]، فسيبويه في قوله هذا قدّم تفصيلا حول الضمائر، فهناك ما هو منفصل كضمائر المتكلم والغائب، وهناك ما هو متّصل بالفعل، وكالتاء والنون والكاف والهاء...، كما توجد ضمائر تتصل بالحروف نحو الكاف والهاء.

إنَّ «الضمائر أعرف المعارف» [2]، وهذا ما أشار إليه سيبويه في قوله: «وإنما صار الإضمار معرفة لأنك إنَّما تُضمر اسمًا بعدما تعلم أن ما يُحدَّث، قد عرف من تعني وما تعني وأنك تريد شيئا يعلمه».[3]

أمّا "السيوطي" (911 هـ) فقد أطلق على الضمير مصطلح الكناية، كما أطلق عليه الكوفيون وهو عنده قسمان، متصل لا يقع أولاً ولا تِلوَ إلاَّ في غير ضرورة، وأورد الضمائر المتصلة التِّي تلحق المتكلم والمخاطب...إلخ، وزاد عليها "نا" لمعظم أو مشارك. والقسم الثاني وهو المنفصل

(1) سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة، الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988، ج2، ص6.
(2) شكر محمود عبد الله، دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، ص 127.
(3) سيبويه، الكتاب، ج2، ص 6.

فيوجد فيه ما للرفع ويحتوي على الضمائر المنفصلة وما يلحق بها، وما للنصب وأورد فيه لفظ واحد وهو (إيّا). [1]

تلجأ العرب في غالب الاحيان إلى الاختصار وعدم العودة إلى ذِكر ما سبق ذكره، وذلك لتفادي التكرار والطول في الطرح، والضمائر تفي بهذا الغرض فقد تنوب عن أسماء وأفعال وعبارات يقول "السيوطي": «ضمير الغيبة يقوم مقام أسماء كثيرة، فإنَّه في قوله تعالى﴿ **أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا** ﴿٣٥﴾ ﴾ الأحزاب [35] قام مقام عشرين ظاهرا». [2]

والضمير مصطلح بصري ويسميه الكوفيون كناية أو مكنيًّا، وهو بالمعنى نفسه. [3]

ب/ عند المحدثين:

لقد قسّم النُحاة العرب القدامى الكلام إلى ثلاث أقسام وهي (اسم، فعل وحرف)، وجعلوا الضمير تابعا للاسم، وأطلقوا عليه مصطلح "الأسماء المبهمة"، أمَّا الدارسون المحدثون فقد اعتمدوا تقسيما رباعيًّا للكلم، جاعلين الضمير من بين أقسامه، ومن أبرز هؤلاء الدارسين: "إبراهيم أنيس" الذِّي جعل الضمير القسم الثاني من أقسام الكلام، و«يتضمن هذا القسم ألفاظا معيَّنة في كل لغة، منها ما تركَّب من مقطع واحد، ومنها ما تركَّب من أكثر من هذا، ولكنَّها

(1) ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، (دط)، 1992)، ج1، ص 196.

(2) السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، (دط)، (دب)، (دس)، ج1، ص 70.

(3) فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1)، 2000، ص 42.

على العموم ألفاظ صغيرة البنية تستعيض بها اللغات عن تكرار الأسماء الظاهرة [...]، فيما يسمى بالضمائر وألفاظ الإشارة، والموصولات والأعداد ليست في الحقيقة إلا رموزاً لغويَّة يُستعاض بها عن تكرار الأسماء الظاهرة».[1]

أمّا "تمام حسان" فقد بيّن أن دلالة الضمير تتّجه إلى المعاني الصرفيَّة العامة، وأطلق عليها معاني التصريف، و«يُعبَّر عنها باللواصق والزوائد؛ فالضمير لا يدلّ على مسمَّى كالاسم ولا على موصوف بالحدث كالصفة، ولا على حدث وزمن كالفعل، والمعنى الصرفي العام الذِّي يعبر عنه الضمير هو عموم الحاضر أو الغائب[...]ومن حيث المبنى؛ فالمعروف أنَّ الضمائر ليست ذات أصول اشتقاقيَّة، ثمَّ إنَّ جميعها من المبنيات التي لا تظهر عليها حركات الإعراب، ولا تقبل بعض علامات الأسماء كالتنوين». [2]

ثالثا/الالتفات والأسلوب أيُّ علاقة بينهما؟:

من خلال عرض جملة من التعريفات حول ماهية الالتفات، نجد أنّ هناك نقاط التقاء بينه وبين علم الأسلوب، باعتبار أنّه من ألوان التعبير البلاغي الذّي يخرج من خلاف مقتضى الظاهر وهو فنّ من الفنون البلاغيّة التّي تتحدث عن الانتقال من أسلوب إلى أسلوب في الجملة الواحدة، بشرط أن يكون هذا الانتقال تابع للأول، فهو بهذا يقترب من مفهوم "الاختيار" عند الأسلوبيين، فالاختيار:«يكون مقاميًا بين سمات مختلفة تعني دلالات مختلفة، ويكون

(1) ابراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1966، ص 274، 275.
(2) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، الأردن، ط 3، ص 108، 109.

أسلوبيًا إذا كان بين سمات مختلفة تعني دلالة واحدة، وحين نقول دلالة واحدة فمن الواضح أنّنا نستثني اختلافها في الدلالة، والتّي ينبغي أن تكون جزءا من المعنى الكلّي للكلام».[1]

وهذا ما يتجلّى بصورة واضحة في ظاهرة الالتفات باعتبار أنّه انتقال من معنى إلى آخر أو من ضمير إلى آخر، بشرط أن يكون الضمير الثاني عائد على نفس الضمير الأوّل وعلى هذا الأساس فإنّ: «الالتفات عند البلاغيين لا يتحقق حسب معيار الاختيار، إلّا إذا كان لها في الأقل بديل في نظام اللغة، ذلك أنّ اتخاذ المعنى بين المنتقل عنه والمنتقل إليه يعني أن تكون مع كل صورة من صور الالتفات إزاء بديل لها مفترض يقبله السياق ويقرّه نظام اللغة». [2]

أمّا من حيث قيمة النص الأسلوبيّة، فهي «لا تتحقق إلاّ عند المقارنة بين خصائص والسمات اللغويّة في النصّ النمط مرتبطة بسياقاتها وبين ما يقابلها من خصائص وسمات النص المفارقة». [3]

وعند ملاحظة تحليلات البلاغيين لصور الالتفات نجدهم قد ساروا على هذا المنهج يقول حسن طبل «حيث كان هذا التحليل لديهم يعتمد على مقارنة الصور الالتفافية بصورة أخرى

(1) سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط3، 1992، ص40.

(2) عبد العزيز الملوكي، الأسلوب في القرآن الكريم–سورة البقرة أنموذجا–عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2014، ص 218.

(3) سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص 218.

(مقدرة) تعادلها دلاليا، أطلقوا عليها أصل الكلام، أو تقدير الكلام أو مقتضى الظاهر أو مساق الكلام». [1]

كما نجد كذلك أنّ الالتفات والأسلوب يلتقيان عند مصطلح "الانحراف" هذا الأخير الذّي يرتبط ارتباطا وثيقا بالأسلوب لأنّ «ماهية الأسلوب ترتبط بمجموع المفارقات التي نلاحظها بين نظام التراكيب اللغوي، وهي مفارقات تنطوي على انحرافات، ومجاذبات بها يحصل الانطباع الجمالي». [2]

وهذا ما نجده عند البلاغيين الذّين أكّدوا على أنّ الالتفات لا يتحقق إلاّ إذا كان في جملتين يحملان نفس المعنى لكن المعنى الثاني ينحرف عن الأوّل، يقول حسن طبل: «فبنية الالتفات على أساس هذا التحديد لا يتحقق إلّا عندما يتوالى في سياق أو نسق كلامي واحد عنصران متماثلان وظيفيا أو معنويا، وينحرف الثاني منهما عن الأول في نمط الأداء، وعلى هذا الأساس ذاته فإن الالتفات لا يتجدد في هذا السياق أو النسق إلّا بحدوث انحراف أو انكسار آخر في مساره». [3]

ممّا سبق نستشف أنّ هناك علاقة بين ظاهرة الالتفات وعلم الأسلوب، حيث نجد أنّ هذه الظاهرة البلاغيّة تُحلل وفق المنهج الأسلوبي.

---

(1) حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1998، ص38.

(2) عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص 102.

(3) حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص42.

الفصل الأول: شروط وصور الالتفات في سورة يونس

أولا–شروط الالتفات.

ثانيا–فوائد الالتفات.

ثالثا–حجاجيّة الالتفات.

رابعا–من صور الالتفات في السورة.

أولا/ شروط الالتفات:

قبل التعريج على شروط الالتفات لابدّ من التطرّق إلى مفهومه العام، وهو التعبير عن معنى بإحدى الطرق الثلاث، وهي التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنها بأسلوب آخر، ولقد اشترط جمهور البلاغيين في الالتفات أمرين:

1- «وجود تعبيرين يُستخدم في ثانيهما طريق مغاير لطريق الأول» [(1)]، وهو الشرط الأساسي الذّي يقوم عليه الالتفات، فمثلا عند التعبير عن معنى بالمخاطبة، ثمّ الانتقال إلى التكلم أو الأخبار فإنّ فيه من الحسن ما فيه، من حيث التنويع في الأسلوب وعدم السير على نمط واحد في التعبير، كذلك تنبيه المتلقي، ودفع الملل والسآمة عنه، ويُمثّل لهذا النوع من الالتفات بأبيات "امرىء القيس" من قصيدة "**تطاول ليلك**":

تطاول ليلكَ بالإثمد ونــام الخلــى ولــم ترقدِ

وبات وباتت له ليلةٌ كليلة ذي العائر الأرمدِ.

وذلك من نبأ جاءني وخُبِّرته عن أبي الأسودِ [(2)]

فخاطب في البيت الأول وانصرف إلى الإخبار في البيت الثاني وانصرف عن الأخبار إلى التكلم في البيت الثالث. [(3)]

2-مخالفة التعبير الثاني مقتضى ظاهر الكلام ومرتقب السامع. [(4)]

---

(1) يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، ص 77.

(2) ديوان امرؤ القيس، تح: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط)، (دس)، ص 240، 241.

(3) مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، (دط)، (دس)، ص 186.

(4) يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، ص 77.

وهذا ما اكّده السيوطي عندما قدّم مجموعة من التنبيهات حول شروط الالتفات، والتّي نذكر من بينها: أن يكون الضمير في المُنتقَل إليه عائدا في نفس الأمر المتنَقل عنه، كذلك يجب أن يكون في جملتين. (1)

ثانيا/ فوائد الالتفات:

يُعدُّ الالتفات من الأساليب البلاغيَّة التِّي ينتجُ عنها التفنّن والتنوُّع في الجمل والتعابير، وقد تكرَّر في القرآن الكريم استخدامه، وكذلك في لغة العرب. والالتفات لا يأتي عرضًا في الكلام إنّما يأتي لغاية وفائدة معيّنة، هذه الفائدة تكون إمّا عامّة أو خاصّة فمن فوائده العامة كما يقول "الزمخشري": «تلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرّفهم فيه، ولأنَّ الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطريّة لنشاط السامع وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد». (2)

ومن فوائده الخاصة نجد:

1-فنية التنويع في العبارة والاقتصاد في الإيجاز وفي التعبير: ومثال ذلك قوله تعالى ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران [179].

«ففي هذه الآية تحقّقت الفائدتان الأولى فنيّة التنويع في العبارة، والثانية الإيجاز فيها». (3)

(1) شوكت علي عبد الرحمن درويش، الالتفات نحويا في القراءات القرآنية، منشورات امانة عمان، عمان، الأردن، (دط)، 2008، ص 28.

(2) محمد المبارك، استقبال النص الغائب عند العرب، الهيئة العامة، الاسكندرية، مصر، (دط)، (دس)، ص 280.

(3) عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ج1، ص 481.

2-**قصد تعظيم شأن (المخاطب)** كما في قوله تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ الفاتحة[2-5].

«فالانتقال من خطاب الغائب إلى خطاب الحاضر أفاد تعظيم شأن المخاطب». (1)

3-**التلطف والترفق بالمخاطب:** كقوله تعالى﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢ ﴾ يس [22]،«أصل الكلام مالكم لا تعبدون الذي فطركم، ولكنّه يريد أن ينصحكم، فأبرز الكلام في صورة من ينصح نفسه تلطفًا بهم». (2)

4-**أن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للمتكلم:** فيأتي به محافظة على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب، كقوله تعالى﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦ ﴾الدخان [4-6] .

«أصل الكلام إنّا كنّا مرسلين رحمة منّا». (3)

5-**قصد التوبيخ:** قوله تعالى﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۝٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝٨٩﴾مريم [89]، «فعدل عن الغيبة في (قالوا) إلى الخطاب في (جئتم) لأنّ من يزعم اتخاذ الرحمن ولدا لاشك أنّه مفتون في دينه، ويستنكر منه هذا القول الآثم، وينبغي أن يُوَبَّخ عليه وتوبيخ الحاضر أشدّ نكاية، وألمًا من توبيخ الغائب، وهذا سرُّ الالتفات في الآية الكريمة». (4)

---

(1) يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1999، ص 78

(2) عبد القادر حسين، فن البلاغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (دط)ن 2006، ص 178.

(3) يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، ص 78.

(4) عبد القادر حسين، فن البلاغة، ص 176.

6-**قصد المبالغة في التعجب من أحوال المخاطبين:** كقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴿٢٢﴾ ﴾ يونس[22] ،«سياق الآية يعني أنَّ الإنسان إذا وقع في مشقَّة، أو ألمَّ به ضيق دعا الله النجاة، وأمِن في نفسه الشكر إذا تحقق رجاؤه، فإذا تخلّص من هذه المشقّة نسي ما يدعو الله إليه وعبث في الأرض بغير الحق، فعدل هنا عن الخطاب إلى الغيبة، وكان حقه أن يقول: ﴿**جرين بكم**﴾، ولكنه عبّر بالغيبة، كأنّ القصد لأناس آخرين غير المخاطبين ليتعجبوا من أحوالهم وينكروا عليهم، وهم في الواقع يتعجبون وينكرون حال أنفسهم البغي والفساد بعد النجاة».[1]

7-**الاختصاص:**

ففي قوله تعالى﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ فاطر [9] ،«عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم لأن الغرض إبراز القدرة على إرسال الرياح، وإثارة السحب، وإحياء الميّت، وهذا لا يتأتى إلا من الله سبحانه وتعالى فناسب ذلك العدول إلى ضمير المتكلم لأنه أدّل على إبراز هذا الغرض».[2]

ثالثا/ حجاجيّة الالتفات:

إنّ القرآن الكريم نصّ معجز في معانيه ونظمه، لذلك يُعدّ نصًّا حجاجيًّا بامتياز فقد كان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم التّي تحدّى بها العرب، باعتبار أنّهم كانوا يتميّزون بالفصاحة وحسن البيان، فلمّا نزل القرآن الكريم بيَّن ضعفهم، وتعذّر عليهم الإتيان بمثله لروعته وكمال نظمه؛ فالأسلوب القرآني قد اختار كل كلمة لتعبّر عن معنى دقيق لا تعبّر عنه سائر الكلمات، لذلك عجز العرب عن مناظرته ومشاكلته.

---

(1) عبد القادر حسين، فن البلاغة، ص 176.

(2) المرجع نفسه، ص 177.

يقول "الرافعي" في هذا الصدد: «فلمّا ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا ألفاظهم بأعينها متساوقة فيما ألفوه من طرق الخطاب وألوان المنطق، وَوَرد عليهم من طرق نظمه، ووجوه تركيبه، ونسق حروفه في كلماتها، وكلماتها في جملها، ونسق هذه الجمل في جملته، ما أذهلهم عن أنفسهم...حتى احسُّوا بضعف الفطرة اللغويَّة فيهم». (1)

إنّ القرآن الكريم باعتباره خطاب تعدّدت أساليبه، ومن هذه الأساليب الالتفات هذا الأخير الذّي ارتبطت معانيه بالمقام شأنه في ذلك شأن أيّ خطاب.

فمن وظائف الالتفات الحجاجيّة: «تقوية الحضور سواء وقع الالتفات بواسطة الضمير أو بواسطة الزمن؛ أي جعل الشيء الذّي عليه مدار الالتفات أشد حضورا في ذهن المتلقي» (2)، مثال ذلك قوله تعالى﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا ۝٩﴾فاطر[9].

قال "ابن هشام" :«يعبّرون عن الماضي والآتي كما يعبّرون عن الشيء الحاضر قصد إحضاره في الذهن، حتى كأنّه مشاهد حالة الاخبار(...)نحو﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ قصد بقوله سبحانه وتعالى (فتثير)إحضار تلك الصورة البديعة الدالّة على القدرة الباهرة من إثارة السحاب، تبدو أولاً قطعا ثمّ تتضام متقلبة بين أطوار حتى تصير ركاما». (3)

ومن وظائف الالتفات الحجاجيّة في القرآن، وظيفة: «اعتبار الشيء مدار الالتفات كأنّه قد تحقّق وقُضي الأمر إيجابًا له، وإيذانًا بصحةِ وجوده، وفائدته أنّ الفعل الماضي

(1) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (دط)، 2003، ص 132.

(2) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 456.

(3) ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دط)، 2001، ج2، ص 797.

إذا أُخبر به عن الفعل المستقبَل الذّي لم يوجد بعدُ كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده لأنَّ الفعل الماضي يُعطى من المعنى كأنَّه قد كان ووُجد». [1]

ومن أمثلة الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل قوله تعالى﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ الكهف [47].

فقد قال "ابن الأثير" في هذه الآية: «وإنّما قيل (وحشرناهم) ماضيا بعد (نسيّر) و(ترى)، وهما مستقبلان للدّلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليشاهدوا تلك الأحوال، كأنّه قال وحشرناهم قبل ذلك، لأنَّ الحشر هو المهمُّ، لأنَّ من النَّاس من يُنكره كالفلاسفة وغيرهم، ومن أجل ذلك ذُكر بلفظ الماضي». [2]

ومن وظائف الالتفات الحجاجيَّة كذلك، «التشنيع على الخصوم، وإشهاد السامعين على فساد صنيعهم» [3]، قال تعالى﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأنبياء [93]، فقد قال "ابن الأثير" أنَّ: «الأصل في (تقطَّعوا) تقطعتم، إلاّ أنَّه صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كأنَّه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى قومٍ آخرين، ويقبِّح عنهم ما فعلوه، ويقول: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله، فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا، وذلك تمثيل لاختلافهم، وتباينهم ثمّ توعّدِهم بعد ذلك، بأنَّ هؤلاء الفِرق المختلفة إليه يرجعون فهو مُجازيهم على ما فعلوه». [4]

---

(1) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 458.

(2) ابن الأثير، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى الباني الحلبي واولاده، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1939، ج2، ص 18.

(3) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 458.

(4) ابن الأثير، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ج 2، ص 13.

كما يعدّ «الضمير" أنتم" الذي ينصرف الخطاب القرآني إلى التعبير عنه عِوض "هم" صيغة فارغة تملؤها جماهير القرّاء المتعاقبة على قراءة القرآن وسماعه؛ أي أنّ حجاجيّة الالتفات تبدو من خلال العدول عن جمهور فات وانقضى فهو في عداد الموتى إلى جمهور حيٍّ دائما، لأنّ المقام الذّي يصنعه ضمير المخاطب (أنتم) عادة مقام قابل للتجديد الدائم وللاتساع التعاظم إلى ما لا نهاية له». [1]

إن القرآن الكريم كلام حجاجي، ومن خصائص الكلام الحجاجي مراعاة المقام صحيح أنّ القرآن في باديء الأمر كان موجها إلى فئة معيّنة في زمن معيّن، لكن قارئه يدرك بأن الخطاب موّجه له كذلك، إذن فالخطاب القرآني مكانه كل مكان وزمانه كل زمان.

رابعا/من صور الالتفات في السورة:

يعدُّ الالتفات من بين أهمّ الألوان البلاغية التّي أولاها علماء اللغة اهتماما كبيرا، حيث حفلت كتبهم بدراسة، لما له من أهميّة بالغة في لغة العرب عموما، وبلاغة القرآن الكريم خصوصا، حيث كانت استشهاداتهم للالتفات، آيات من الذكر الحكيم في معظمها، باعتبار أنّ هذه الظاهرة البلاغيّة قد وردت فيه بكثرة، وهذا ما أشار إليه الدكتور "عبد الله صولة" حيث ذكر بأنّ «نسبة الالتفات الوارد في القرآن الكريم تفوق نسبة وروده في أي نص آخر شعريا كان أو نثريا» [2]

فالنصّ القرآنيّ نصّ معجزٌ بطبيعته، سواء كان ذلك من حيث المعاني، أو من حيث النظم، فقد بيّن العديد من العلماء أنّ إعجازه يكمن في طريقة نظمه، هذا الأخير الذي يدخل الالتفات ضمن دائرته، والغاية من وروده بكثرة في القرآن الكريم كما يقول الدكتور "عبد العزيز الملوكي": «والغاية من هذه الظاهرة الأسلوبية في النص القرآني، هو

(1) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 463.

[2] ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 456.

التعبير عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة، ابتعادا عن التكرار، ورغبة في تنويع العبارة، قصد إظهار الظواهر الجمالية في النص القرآني» [1]

والمُلاحظ على جلّ البلاغيين أنّهم حصروا تعريفاتهم للالتفات في مجال الضمائر فحسب، حيث أصبحت هي علامته المميزة، «غير أنَّ مفهومه يتسع ليشمل كل تحوّل أو انكسار في نسق التعبير لا يتغيّر به جوهر المعنى» [2]

فهناك أنواع أخرى للالتفات منها الالتفات بالأدوات، والالتفات بالعدد، وبالمعجم وبالصيغ وغيرها.

1/ الالتفات بالأدوات:

يتجلّى الالتفات في هذا المجال على مستوى عدم المطابقة بين الأدوات، وتندرج ضمنه صورتين هما: المخالفة بين الأدوات المتماثلة، وحذف الأداة وذكرها.

أ-المخالفة بين الأدوات المتماثلة:

وهو التحول في التعبير أو السياق الواحد من أداة إلى أداة أخرى تماثلها في أداء وظيفتها العامة. [3]

ويُمثَّل لهذا النوع من الالتفات بقوله تعالى ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ ﴿٣٥﴾﴾[4] يتمثّل الالتفات في الآية الكريمة بالانصراف عن حرف الجر "إلى" التي تدل في عمومها على منتهى الغاية إلى حرف الجر "اللام" التي

---

[1] عبد العزيز الملوكي، الأسلوب في القرآن الكريم –سورة البقرة أنموذجا، ص221.

[2] حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص55.

[3] المرجع نفسه، ص131.

[4] يونس، الآية 35.

تعدّدت استعمالاتها في اللغة العربية، غير أنّ «سيبويه جعل لها معنى واحد، وهو الملك واستحقاق الشيء»[1] حيث أنَّ شبه الجملة﴿ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ ﴾و﴿ لِلۡحَقِّۗ ﴾ لهما نفس المعنى سواء في الدلالة أو الإعراب، لأنّ "إلى" و"اللام" كلاهما حرف جر، والاسم الذّي يأتي بعدهما يكون مجرورا وكلاهما في محل نصب مفعول به، يقول "الرازي": «يُقال هديت إلى الحق وللحق بمعنى واحد». [2]

والمعنى العام الذّي تدور حوله الآية الكريمة، هو أنّ الله سبحانه وتعالى لما بيَّن للكفار عجز أصنامهم عن إماتة وإحياء الخلق، بيَّن كذلك عجزهم عن الهداية للحق وطريق الصواب، وقد ورد في تفسير البيضاوي أنّ: «"إلى" تضمنت معنى الانتهاء، و"اللام" للدلالة على أنَّ المنتهى غاية الهداية». [3]

والخطاب الموجّه في هذه الآية للرسول صلى الله عليه وسلّم، أي قل لهم، هل هناك من تعبدون من دون الله من يهدي إلى الحق، وهناك من المفسرين من قال أنّ الحق بمعنى الإسلام وهو قول القرطبي: «أي هل من شركائكم من يرشد إلى دين الإسلام». [4]

والفائدة التي اقتضتها الآية الكريمة هي فائدة الاختصاص لأن الله سبحانه وتعالى أقام الحجة على المشركين، وبيَّن نقص آلهتهم، حيث قُصرت صفة الهداية للحق لله تبارك وتعالى وحده لا شريك له.

---

[1] محمد أحمد خضير، الأدوات النحوية ودلالتها في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، (دط)، 2001، ص 112.

[2] الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ج11، ص95.

[3] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق مؤسسة الإيمان بيروت، لبنان، ط1، 2000، ج3، ص 112.

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، والمبيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ج10، ص 409.

ب-حذف الأداة وذكرها:

وهو التحوُّل في السياق الواحد، عن ذكر الأداة إلى حذفها أو العكس لقيمة تعبيريّة تقتضي الذكر أو الحذف. [1]

ومن المواضع التي تمّ فيها العدول بحذف الأداة وذكرها في السورة، قوله تعالى﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [2]

حيث وردت لفظة﴿ظَنًّا ۚ﴾نكرة ثم وردت بعد ذلك معرّفة، بذكر أداة التعريف (الألف واللام). فالآية الكريمة بنيَّت حال المشركين، وأتباعهم مالا ينفعهم ولا يضرهم من الله شيئا بعبادتهم الأوثان، حيث يقول القرطبي: «قوله تعالى﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ﴾ يريد الرؤساء منهم، أي ما يتّبعون إلا حدسا وتخريصا في أنّها آلهة، وأنّها تشفع، ولا حجّة معهم، وأمّا أتباعهم فيتبعونهم تقليدا ۚ﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ أي من عذاب الله، فالحق هو الله، وقيل الحق هو اليقين، أي ليس الظن كاليقين». [3]

وقد وردت﴿ظَنًّا ۚ﴾ نكرة للاستهزاء، وتقليل من شأن ما يعبدون من دون الله يقول "الطاهر بن عاشور": «وتنكير﴿ظَنًّا ۚ﴾للتحقير، أي ظنّا واهيا، ودلّت صيغة القصر على أنّهم ليسوا في عقائدهم المنافية للتوحيد على شيء من الحق، ردًا على اعتقادهم أنّهم

---

[1] حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص131.

[2] يونس، 36.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، والمبيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج10، ص502.

على الحق، وجملة ﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ تعليل لما دلَّ عليه القصر من كونهم ليسوا على شيء من الحق، فكيف يزعمون أنهم على الحق». [1]

والفائدة التي اقتضتها هذه الآية، هي التعجب من أحوال المخاطبين لأنَّ المشركين اتبعوا عبادة الأوثان حفاظا على معتقدات آبائهم، وعلى ما وجدوهم عليه.

2/ الالتفات بالعدد:

يتمُّ الالتفات العددي على مستوى خرق المطابقة العدديَّة، حيث يتمُّ الانتقال فيه من أسلوب إلى أسلوب، أي الانتقال من الإفراد إلى التثنية أو الجمع والعكس، وقد وُجد هذا النوع من الانتقال في أكثر من موضع في سورة يونس ومثاله:

أ-من الإفراد إلى الجمع:

يقول تعالى﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[2]

يذكِّر الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة عباده بالنِعم التي وهبهم إيَّاها، وفضله عليهم، وبأنَّه سبحانه خالق كل شيء ومالكه يقول القرطبي في ذلك: «المراد بمساق هذا الكلام الردُّ على المشركين وتقدير الحجة عليهم». [3]

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير، الدار التونسية للنشر، تونس، (دط)، 1984، ج10، ص166.

[2] يونس، الآية 31.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، والمبيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج10، ص499.

ومن الملاحظ على الآية الكريمة أنّ لفظة ﴿ٱلسَّمۡعَ﴾ جاءت مفردة، أمّا لفظة ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾فوردت بصيغة الجمع، وهنا يكمن موطن الالتفات، ولقد اختلف المفسرون حول ظاهرة إفراد السمع، وجمع الأبصار، فهناك من بيَّن بأن السمع مصدر والمصادر لا تجمع، وهذا رأي الزمخشري حيث يقول: «...ولك أن تقول: السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع»[1] ،وقد ذهب مفسرون آخرون إلى أن السر من وراء هذه المخالفة هو توحُّد مدركات السمع، وتعدّد مدركات العقول والأبصار، وهذا ما أكَّده صاحب تفسير المنار فقد بيَّن أنَّ الأبصار مرتبطة بالعقول، وأنَّها معين لها في عملية الإدراك، لذلك جُمعت يقول: «العقول والأبصار تتصرف في مدركات كثيرة فكأنَّها صارت بذلك كثيرة فجمعت، وأمّا السمع فلا يُدرك إلا شيئا واحدا فأُفرد [...] وأقلُّ ما قيل في البصر أنّه يدرك الألوان، والأشكال، المقادير، والسمع لا يدرك إلا الصوت فقط». [2]

والفائدة التي اقتضتها هذه الآية هي فائدة الاختصاص لأنّ الله سبحانه وتعالى هو وحده الذّي خلق الانسان، فأحسن خلقه وتقويمه، ورَزقه من النِعم ما لا يُعدّ ولا يحصى، أهمّها نعمة السمع والبصر، كما يدلُّ سياق الآية على دعوة الله سبحانه وتعالى للإنسان، وحثِّه على التأمّل والتدبّر في ملكوته، ليعترف بربوبيته ووحدانيَتِهِ.

---

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1998، ج1، ص169.

[2] محمد عبده، تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، تأليف: محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، مصر، ط2، 1947، ج1، ص145.

ب-من الإفراد إلى التثنية:

ومثال ذلك قوله تعالى﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨﴾[1]

يتجلّى الالتفات في هذا المقام بالانتقال من الإفراد إلى التثنية، وتحديدا بين لفظتي ﴿أَجِئۡتَنَا﴾ و ﴿لَكُمَا﴾، حيث أن الخطاب كان موجه لمخاطَب واحد وهو موسى عليه السلام، فخوطب بصفة المفرد عندما اتّهمه قومه بصدهم عن سبيل آبائهم، وكذلك لأنَّه هو صاحب الرسالة بالدرجة الأولى، ثم انتقل الخطاب إلى التثنية، فخوطب موسى وهارون عليهما السلام باعتبار أنَّهما في نظر قومهما يريدان أن يُحصلا سلطانا وجاها، يقول الزمخشري «﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ ﴾أي المُلك، ويجوز أن يقصدوا ذمّهما، وأنّهما إذا ملكا أرض مصر تجبّرا وتكبّرا».[2]

أمّا الاستفهام في﴿أَجِئۡتَنَا﴾ استفهام «انكاري، بنوا إنكارهم على تخطئة موسى عليه السلام فيما جاء به، وعلى سوء ظنهم به وبهارون في الغاية التّي يتطلبانها ممّا جاء به موسى، وإنّما واجهوا موسى بالخطاب لما تقدّم من أنّه الذّي باشر الدعوة وأظهر المعجزة، ثمّ أشركاه مع أخيه هارون في سوء ظنّهم بهما، وفي الغاية من عملهما».[3]

فوُرُود الخطاب بصيغة التثنية وإشراك موسى وهارون عليهما السلام في جني ثمرة دعوتهما بتحصيل الملك ورد عن طريق إنكار وتوبيخ قومهما لهما مما يدعوان إليه.

جـ- من التثنية إلى الجمع إلى الإفراد:

---

[1] يونس، الآية78

[2] الزمخشري، تفسير الكشاف، ج3، ص163.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص251.

ومن مواطن العدول بهذه الصورة نجد قوله تعالى﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]

لقد جمعت هذه الآية اِلتفاتين، حيث نجد الخطاب الموجّه في صدر الآية بأسلوب التثنية، لأنّه موجه إلى موسى وهارون عليهما السلام، حيث أمرهما الله تعالى باتخاذ البيوت مساجد، والإقبال على الصلاة فيها، ثم انتقل إلى لفظ الجمع وقال﴿ٱجْعَلُوا﴾ وفعل الأمر هذا موّجه إلى موسى وهارون عليهما السلام وقومهما، لذلك جاء الخطاب عاما. ثم عدل عن ذلك إلى الإفراد في لفظة﴿وَبَشِّرِ﴾ النّي خصّ بها الله موسى عليه السلام، لأنّه النبيّ المرسل.

يقول الزمخشري في ذلك: «خُوطب موسى وهارون بأن يتبوءا لقومهما بمصر بيوتا، ويختاراها للعبادة، وذلك ممّا يفوّض إلى الأنبياء، ثم سيق الخطاب عامًا لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها، لأنّ ذلك واجب على الجمهور، ثم خصّ موسى عليه السلام بالبِشارة، التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشّر بها». [2]

وقد اختلف المفسرون حول الخطاب الأخير﴿ وبشّر ﴾حيث قيل بأنّه موجه لمحمد صلّى الله عليه وسلم. [3]

---

[1] يونس، الآية 87.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 166.

[3] ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج11، ص36.

3/ الالتفات بالمعجم:

يتمّ الالتفات في هذا المجال على مستوى المفردات التّي تتشارك في نفس المعنى، فقد تنوب كلمة عن أخرى ولا يتغير المعنى، وهذا ما يسمى بالترادف وهو «الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد، باعتبار واحد» [1]، وهو كذلك «ما اختلف لفظه، واتفق معناه، أو هو إطلاق عدة مدلولات على مدلول واحد». [2]

ومن المواطن التي ورد فيها هذا النوع من الالتفات في السورة، قوله تعالى﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[3]،ففي الآية الكريمة تمّ العدول عن لفظ الجلالة "الله" إلى صفة من صفاته وهي "**الحق**" والحق هو الذي لا يظلم، ولا تضيع عنده مثقال ذرة عندما يرجعون إليه بعد طغيانهم واتخاذهم أولياء من دون الله، ومعنى ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾كما يقول "الزمخشري" :«الذّي يتولى حسابهم وثوابهم، العدل الذي لا يظلم أحدا»[4]، فتُجازى كل نفس بما افترت وأشركت، وعبدت من دون الله مالا يدفع عنها العذاب، يقول "القرطبي" :«ووصف نفسه

---

[1] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تعليق: محمد أحمد جاد المولى بك، وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دط)، 1986، ج1، ص 202.

[2] محمد نور الدين المنجد، الترادف في القرآن الكريم (بين النظرية والتطبيق)، المطبعة العلمية، دمشق، سوريا، ط1، 1997، ص 75.

[3] يونس، الآية 30.

[4] الزمخشري، الكشاف، ج3، ص134.

سبحانه وتعالى بالحق لأنّ الحقّ منه، كما وصف نفسه بالعدل، لأنّ العدل منه، أي كلّ عدل وحقّ فمن قِبَله». [1]

إنّ هذه الآية تنطبق على تعريف "أبي هلال العسكري" الالتفات الذي سبق ذكره، فهو عنده أن يذكر المتكلم المعنى بغير ما تقدم ذكره به، لأنّ المشركين سيؤمنون بيوم الحشر بعدما أنكروه وعبدوا شفعاء من دون الله.

4/ الالتفات بالصيغ:

يتحقّق الالتفات في هذا المجال، كلّما تخالفت صيغتان في نسق واحد، من ذلك مثلا، المخالفة بين صيغ الأفعال (الماضي، المضارع، الأمر)، أو بين صيغتي نوع واحد منها، أو بين صيغ الأسماء، او بين صيغة من صيغ الاسم وأخرى من صيغ الفعل. [2]

وقد ورد في سورة يونس هذا الضرب من الالتفات، نجد مثلا:

المخالفة بين صيغ الأفعال:

ونجد هذه المخالفة على سبيل المثال في قوله تعالى﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[3]

إنّ الملاحَظ على هذه الآية، أنّ هناك وجود للمخالفة بين صيغ الأفعال، أو الأزمنة، حيث ورد الفعل﴿خَلَقَ﴾في صدر الآية بصيغة الماضي، ثم التفت عنها إلى

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، والمبيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج10، ص 489.

[2] حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 56.

[3] يونس، الآية 3.

صيغة المضارع﴿يُدَبِّرِ﴾.ولقد جاءت لفظة ﴿خَلَقَ﴾ بصيغة الماضي للدلالة على أن الخلق حدث وانتهى، كما أُوثرت هذه الصيغة للدعوة إلى التأمل فيما خلق الله، ولإدراك وحدانيته، أمّا لفظة ﴿يُدَبِّرِ﴾، فقد وردت بصيغة المضارع، وذلك لأنّ التدبير قائم ومستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويدبِّر الأمر معناه أنَّه يدبِّر أمر مخلوقاته، فهو الذِّي أوجدهم، وهو الذِّي يدبِّر أمرهم، ولا يشركه في ملكه أحد.

يقول "أبو حيان الأندلسي": «...أي يقضيه وحده، والتدبير تنزيل الأمور في مراتبها، والنظر إلى أدبارها وعواقبها، والأمر قيل: الخلق كلّه عُلويّه وسُفليّه، وقيل: يبعث بالأمر ملائكة فجبريل للوحي، وميكائيل للقطر، وعزرائيل للقبض، واسرافيل للصور» [1]

ولقد دلّت هذه الآية كما يقول "الزمخشري" على: «عظمة شأنه وملكه بخلق السماوات والأرض، مع بسطتها واتساعها في وقت يسير، بالاستواء على العرش، واتبعها هذه الجملة، لزيادة الدلالة على العظمة، ولأنّه لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره». [2]

والفائدة التي اقتضتها الآية الكريمة هي: التلطف والترفق بالمخاطب، ودعوته إلى التفكر فيما خلق الله، ونفي الشريك عنه سبحانه وتعالى، واثبات تفرّده بالألوهية، وأنّه جلّ شأنه هو خالق السماوات والأرض وما بينهما بإحكام ودقّة، لذا دعاهم إلى النظر والتدبّر في ملكوته، ليَصِلوا في الأخير إلى حقيقة مفادها أنّ هذا الكون وما فيه لا بدّ له من خالق، دبّر شأنه وأحسن خلقه، وأنّه سبحانه وتعالى هو وحده المنفرد بقدرة الإيجاد.

---

[1] أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ج5، ص128.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 114.

الآيـــــة	رقمها	نوع الالتفات	موقعه
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾	12	الالتفات بالأدوات (ذكر–حذف)	الضر–ضر
﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾	50–51	التفات بالأدوات (المخالفة بين الأدوات المتماثلة)	بين أداتي الشرط (إن–إذا)
﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ	20	التفات بالمعجم	رب–الله

فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾			
﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾	32	التفات بالمعجم	الله–الحق
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴿٣﴾ ﴾	3	التفات بالعدد (جمع–إفراد)	السماوات–الأرض
﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾	6	التفات بالعدد (جمع–إفراد)	السماوات–الارض

ونخلص في الأخير إلى أن أسلوب الالتفات، من بين أهمّ الظواهر البلاغيّة التّي أولاها علماء اللغة اهتمامهم، وذلك لما له من أهميّة في لغة العرب عامّة وأسلوب القرآن الكريم خاصة، فبالرغم من تباين مصطلحات الالتفات وتعددها إلاّ أنّ العلماء وضعوا شرطين أساسيين لكي يتحقق وهما: أن يكون في جملتين وأن يكون الضمير الملتفت به عائد على نفس الضمير الملتفت عنه، أمّا بالنسبة للفوائد التي يحققها الالتفات، فتشمل فوائد عامة تتمثل في التفنن في الكلام، واستمالة السامع وتجديد نشاطه ودفع الملل والسآمة عنه لِجريان الأسلوب على نمط واحد، أمّا الفوائد الخاصة فتختلف باختلاف مقاصد المتكلم من بينها: تعظيم شأن المخاطب، وأن يكون الغرض منه التتميم لمعنى مقصود للمتكلم، ويأتي لقصد المبالغة، كذلك قصد الدلالة على الاختصاص، كما يأتي بقصد التوبيخ، ويأتي كذلك للتلطف والترفق بالمخاطب، كما قد يأتي للتعجب من أحوال المخاطبين.

كما لا يمكن اِغفال الجانب الحجاجي للالتفات في القرآن الكريم، من خلال جعل الشيء مدار الالتفات أشدّ حضورا في ذهن المتلقي سواء كان ذلك بواسطة الضمائر أو الزمن، وفائدة الالتفات الزمني إعتبار الشيء مدار الالتفات قد تحقق وقضي الأمر، وذلك لصحة وجوده، وأهم ما في وظائف الالتفات الحِجاجيّة ضمير المخاطبين " أنتم "، الذّي يعدّ صيغة فارغة تملؤها جماهير القراء عبر الأجيال المتعاقبة، لأنّه ضمير قابل للتجديد والاتساع وهنا تكمن حجاجيته بحيث يشعر قارئ القرآن الخطاب موجه لمن هم في زمنه.

إنّ الملاحظ، على آراء القدماء يجد أنّهم قد ركّزوا على الانتقال من ضمير إلى آخر في مفاهيمهم للالتفات لكنّه يتجاوز ذلك ليشمل كل تباين أو انكسار في المعنى، فبالإضافة إلى العدول الضمائري، يكون بصور أخرى أهمها: الالتفات بالأداة، والالتفات بالعدد وبالصيغة وبالحجم، وقد وجدت هذه الصور في سورة يوسف وتمّ استخراجها وتحليلها.

الفصل الثاني: الالتفات بمقامات الضمائر

أولا–من التكلم إلى الخطاب

ثانيا–من التكلم إلى الغيبة

ثالثا–من الخطاب إلى التكلم

رابعا–من الخطاب إلى الغيبة

خامسا–من الغيبة إلى التكلم

سادسا–من الغيبة إلى الخطاب

لقد أدخل علماء البلاغة ظاهرة الالتفات، بصورة جليّة وواضحة في التصرف بالضمائر، حيث أصبحت هذه الأخيرة هي العلامة المميّزة له، وهذا ما تجلّى في جُلّ تعريفاتهم للالتفات، باعتبار أنّه انتقال من حالة إلى حالة أخرى بواسطة ثلاث مقامات وهي:(الغيبة والحضوروالتكلّم) يقول "الزركشي" (794هـ):«واعلم أن للتكلّم والخطاب والغيبة مقامات، والمشهور أنّ الالتفات هو الانتقال من أحدها إلى الآخر بعد التعبير بالأوّل »[1] وهذا الانتقال لا يكون تلقائيًّا من طرف المتكلم، بل يكون في غالب الأحيان لتلوين الخطاب أو لأغراضَ في نفسه يودُّ الوصول إليها، وهو كذلك « العدول عن مساق الكلام إلى مساقٍ آخِر متممٍ للأوّلِ، على جهةِ الميلِ أو غيرِهِ ».[2]

ومعظم البلاغيين أجمعوا على أنَّ الغاية من وراء الالتفات، إنَّما تكون لدفع السآمة والملل عن نفس المتلقي، وعند الانتقال من حال إلى حال، يتجدّد نشاطها لما يحمله الكلام من تغيير، لهذا السبب عنيت به العرب في كلامها.

وبما أنَّ العدول في هذا المجال يكون بالانتقال بين ثلاث مقامات، فصور الالتفات هنا تتعدّد لتكون ستة صور وهي كالآتي:

1-من التكلم إلى الخطاب.

2-من التكلم إلى الغيبة.

3-من الخطاب إلى التكلم.

4-من الخطاب إلى الغيبة.

5-من الغيبة إلى التكلم.

---

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، (دط) (دس)، ج3، ص314.

(2) كمال الدين ميثم البحراني، أصول البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الشروق، القاهرة، مصر، (دط)، 1981 ص83.

6-من الغيبة إلى الخطاب.

أولا /الالتفات من التكلم إلى الخطاب:

ومثال هذا النوع من الالتفات في سورة يونس قوله تعالى﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1]

يدور المعنى العام للآية الكريمة، حول مكر الكفّار وجحدهم نِعَم الله تبارك وتعالى عليهم، باعتبار أنّهم إذا أصابهم ما يشتهون، مرُّوا في كفرهم وعنادهم، وتكذيبهم آيات الله سبحانه وتعالى، وإذا أصابهم ما يكرهون دعوا الله مخلصين بأن يفرِّج عنهم كربهم، وإذا فرّج عنهم هذا الكرب مرُّوا في طغيانهم، وعادوا إلى سوء صنيعهم.

أمّا بالنسبة للالتفات الوارد في الآية، فيتمثل بالانتقال من التكلم والمتمثل في قوله (أذقنا-آياتنا) إلى الخطاب (قل الله – تمكرون)، حيث ورد الأسلوب في بداية الآية عن طريق التكلم، واسناد إذاقة الرحمة إلى الله سبحانه وتعالى بواسطة ضمير العظمة، ثمّ انصرف عن ذلك إلى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم (قل الله) ومخاطبة الكفّار الجاحدين نِعَم الله عليهم بقوله (تمكرون)، فقد وردت عن طريق الخطاب، بعدما كانت عن طريق الغيبة في صدر الآية (النّاس، مسّتهم، لهم)، فلم تجرِ على نفس الأسلوب الأوّل، ولم يقل (يمكرون) وقد قُرأت بالتاء على طريق الخطاب.

وهي على رأي" أبي حيان الأندلسي":« مبالغتهم في الإعلام بحال مكرهم، والتفات لقوله

(1) يونس، الآية 21.

" قل الله"، أي: قل لهم، فناسب الخطاب، وفي قوله " إنّ رسلنا " التفات أيضا، إذ لم تأت: إن رسله».[1]

إنّ الله عزّ وجلّ عالم بمكيدة ومكر هؤلاء المشركين، بحيث أنّهم كلّما رأوا آية من آيات الله استكبروا وأعرضوا، وطلبوا معجزات أخرى أكبر يقول الفخر الرازي: «وقوله﴿إِذَآ لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَا﴾، المراد منه اضافتهم تلك المنافع الجليلة إلى الانواء، والكواكب أو إلى الأصنام».[2]

وقد وردت أداة الشرط "إذا" في موضعين من الآية فالأولى: أداة شرط، والثانية حرف مفاجأة، يقول الرازي: «(إذا) في قوله﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ﴾للشرط، و(إذا) في قوله﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ جواب الشرط، والمعنى: إذا أذقنا الناس رحمة مكروا، وإن تصبهم سيئة قنطوا، واعلم أنَّ ﴿إِذَآ لَهُم مَّكۡرٞ﴾ تفيد المفاجأة».[3]

أي أنَّ هؤلاء المشركين سرعان ما تصبهم الرحمة والسعة، كذّبوا واستهزأوا بآيات الله وقد دلّت أداة المفاجأة على أنّ مكر الله عزّ وجلّ أسرع من مكرهم يقول صاحب"التحرير والتنوير":«ولمّا كان الكلام متضمنا التعريض بإنذارهم، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعظهم بأنّ الله أسرع مكرا،أي منكم، فجعل مكر الله بهم أسرع من مكرهم بآيات الله»[4]

(1) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص140
(2) الفخر الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج11، ص68.
(3) الفخر الرازي التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج11، ص69.
(4) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص133.

كما أنّ لفظة "الذوق" وردت على سبيل المجاز، لأنّ الذوق من خصائص اللسان، فبواسطته يُدرك الطعم يقول محمد عبده: «أي وإذا كشفنا ضرّاء مسّت النّاس، برحمة منّا أذقناهم لذّتها على أتمّها، لأنّ الشعور بها عقب زوال ضدّها يكون أتمّ وأكمل».[1]

والفائدة من وراء هذا الالتفات هي التعجب من أحوال المخاطبين، وكذلك التهديد والوعيد، لانّهم جحدوا نعم الله عليهم، واستكبروا عن آياته وكذّبوا بها.

ثانيا/من التكلم إلى الغيبة:

ومن شواهد هذا الضرب من الانصراف في سورة يونس قوله تعالى﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾.[2]

يتجلّى الالتفات في الآية الكريمة، بالانصراف من التكلم إلى الغيبة حيث جرى الأسلوب عن طريق التكلم في بيان تعجب النّاس من وحي الله سبحانه وتعالى إلى بشر مثلهم، ثمّ تمّ العدول عن التكلم إلى الغيبة عندما خصّ الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالبشارة بالمنزلة الرفيعة، فذكر الاسم الظاهر (ربّهم)، وفي هذا انصراف من التكلم إلى الغيبة، فلو جاءت الآية على أسلوب واحد لقيل: (أن لهم قدم صدق عندنا)، لكنّه عدل إلى الغيبة بذكر الاسم الظاهر، لأنّ هناك من آمن بالله سبحانه وتعالى وعبده دون أن يراه.

والهمزة في قوله ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ «لإنكار تعجبهم، وتعجيب السامعين منه لوقوعه في غير محلّه، والمراد بالنّاس كفّار العرب».[1]

---

(1) محمد عبده، تفسير المنار، ج11، ص334.

(2) يونس، الآية 2.

والملاحظ على الآية الكريمة، أن الإنذار خاص بجميع النّاس، أمّا التبشير فخصّه سبحانه بالمؤمنين به يقول البيضاوي «عمّم الانذار إذ قلّما من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه، وخصّص البشارة بالمؤمنين، إذ ليس للكفار ما يصحُّ أن يُبَشّروا به حقيقة».[2]

ولقد حقّقت الآية الكريمة فائدتان أولها: فائدة التقرير والتوبيخ في صدر الآية من تعجب كفّار مكّة من إنزال الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم، والفائدة الثانية هي: التتميم لمعنى مقصود للمتكلم بتبشير المؤمنين بالمقام الرفيع الذّي أعدّه الله لهم يوم القيامة.

كذلك نجد من مواطن هذا النوع من الالتفات في السورة قوله تعالى﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾.[3]

إنّ الأسلوب الوارد في صدر الآية عن طريق التكلم في سياق مخاطبة الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم، واخباره بأنّ الله منتقم له من الذين كذّبوه وآذوه، في الدنيا والآخرة، ثم عدل عن ذلك إلى الغيبة في قوله﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾، بذكر الاسم الظاهر (الله) بعد أن كان مضمرا بواسطة نون العظمة في (نريّنك–نتوفينك).

وقد احتوت الآية توكيدين في قوله تعالى﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ لأنّ أصل الجملة كما أورد "الألوسي" (127هـ): «أصله "إن نرِينّك" و(ما) مزيد لتأكيد معنى الشرط، ومن ثمة أُكِّد

(1) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: محمد حسين العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، (دط)، 1997، ج7، ص87.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج3، ص104.

(3) يونس، الآية 46.

الفعل بالنون، والرؤية بصريّة أي نرِينَّك بعينيك من العذاب بأن نعذِّبهم في حياتك﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ذلك».[1]

والآية الكريمة مسوقة لإثبات وتأكيد وقوع ما وعد الله به المشركين من العذاب سواء كان ذلك في الدنيا أو الآخرة، وهذا ما أكّده صاحب تفسير البحر المحيط في قوله: «ومعنى هذه الآية الوعيد بالرجوع إلى الله تبارك وتعالى أي: إن أريناك عقوبتهم أم لم نُرِكها، فهم على كل حال راجعون إلينا إلى الحساب والعذاب».[2]

والفائدة التي اقتضتها الآية الكريمة هي: التلطف والترفق بالمخاطب وتثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بأنّ الله سبحانه وتعالى معذّبٌ الذّين آذوا رسوله ومنتقمٌ له منهم، كذلك التهديد والوعيد بأن الله مؤد شهادته يوم يرجعون فيحاسبهم على شرِّ أعمالهم.

(1) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج7، ص188.
(2) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص164.

ثالثا/ من الغيبة إلى التكلم:

ومن شواهده في السورة قوله تبارك وتعالى﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾.[1]

فقد عدل السياق في الآية الكريمة إلى التكلم (فنذر–لقائنا) بعد ان كان الأسلوب يجري على طريق الغيبة بذكر الاسم الظاهر لفظ الجلالة " الله"، والفعل المبني للمجهول " لقُضيَ".

ويدور المعنى العام للآية الكريمة على الذّين يستعجلون الخير، وهذه غريزة طبيعية في كلّ البشر، أمّا استعجالهم الشر فيكون في حالة الغضب واليأس، أو تعجيز الغير كما أنّهم إذا نزلت بهم شدّة دعوا الله بكشفها عنهم، وقد تعدّدت التفاسير حول نزول هذه الآية فالزمخشري يرى أنّها نزلت في أهل مكّة المكذبين يقول: «والمراد أهل مكّة،وقولهم ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾(الأنفال 32)، يعني ولو عجّلنا لهم الشرّ الذي دعوا به كما نعجّل لهم الخير ونجيبهم إليه لأميتوا وأهلكوا»[2]،وهناك من قال بأنّها نزلت في دعاء الرجل على نفسه وماله، وولده ونحو هذا مثل ما أورده "بن كثير" (774هـ) حيث يقول :« يُخبر الله تعالى على حلمه ولطفه بعباده أنّه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم، أو أموالهم أو أولادهم بالشرِّ في حال ضجرهم

(1) يونس، الآية 11.

(2) الزمخشري، تفسير الكشاف، ج3، ص 118.

وغضبهم، وأنّه يعلم منهم عدم القصد إلى اِرادة ذلك فلهذا لا يستجيب لهم والحالة هذه لطف ورحمة».[1]

وقد أورد العلماء آراء في تفسير هذا العدول منها ما أورده "أبو حيان الأندلسي" في قوله: «فأخبر تعالى لو فعل مع الناس في اجابته إلى المكروه مثل ما يريدون فعله منهم في إجابته إلى الخير لأهلكهم، ثم حذف بعد ذلك من القول جملة يتضمنها الظاهر تقديرها: فلا يفعل ذلك، ولكن نذر الذين لا يرجون، فاقتضب القول ووصل إلى هذا المعنى بقوله " فنذر الذين لا يرجون "».[2]

أمّا الزمخشري فقد بيّن أنّه سبحانه وتعالى، وضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم يقول: «أصله﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ﴾ تعجيله لهم الخير، فوضع اِستعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم ».[3]

أمّا من حيث اتصال قوله تعالى﴿ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾، والعدول بها إلى التكلم فيقول:«قوله:﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ ﴾ متضمن معنى نفي التعجيل كأنّه قيل: ولا نعجِّل لهم الشرَّ، ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم﴿ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ ﴾ أي فنمهلهم، أو نفيض عليهم النعمة مع طغيانهم، إلزاما للحجّة عليهم».[4]

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، (ط8)، 1986، ج3، ص487.

(2) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص132.

(3) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 118.

(4) المرجع نفسه، ج 3، ص119.

أمّا الفائدة من وراء هذا العدول فهي: التوبيخ، والمبالغة في التعجب من أحوال المخاطبين لمجاوزتهم الحد في الكفر والطغيان، واستعجالهم السيِّئة، لكنّ الله سبحانه وتعالى أمهلهم لأنَّ ما خُفيَ لهم كان أعظم.

كما نجد هذا النوع من الالتفات في آية أخرى من السورة في قوله تعالى﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾.[1]

فلقد ورد الأسلوب في الآية الكريمة في بداية الأمر عن طريق الغيبة بقوله (أنجاهم) وذلك باستتار الفاعل في الفعل الماضي (أنجى) لأن الفاعل ضمير مستتر تقديره" هو "، ثم انتقل الأسلوب في آخر الآية إلى التكلم في قوله (الينا مرجعكم – ننبئكم) وقد ورد الأسلوب في صدر الآية عن طريق الغيبة جريا على الآية قبلها في قوله تعالى﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ﴾[2] فالله سبحانه وتعالى يخبر عباده في الآية الكريمة، أنه إذا أصاب الناس كربٌ وابتلاء رجعوا إليه سبحانه وتعالى وطلبوا منه النجاة، فإذا أمنوا الخلاص والسلامة، عادوا إلى حالهم الأول من شركٍ بالله ، وفسادٍ في الأرض.

أمَّا الخطاب الموّجه في الآية الكريمة بقوله، فيحمل ثلاثة احتمالات، أوردها "أبو حيّان الاندلسي" في قوله: «... قال الجمهور: لأهل مكّة، والذّي يظهر أنّه خطاب لأولئك الذّين أنجاهم الله وبغوا، ويحتمل كما قالوا العموم، فيندرج أولئك فيهم، وهذا ذمّ للبغي في

(1) يونس، الآية 23.

(2) يونس، الآية 22.

أوجز لفظ» [1]، فأبو حيّان في قوله هذا رجّح، أنّ الخطاب لأولئك الذين بغوا في الأرض فسادا.

ولقد فسّر صاحب "تفسير المنار" جملة النداء هذه على أنّها: «التفات إلى مخاطبة البُغاة أينما كانوا، وفي أيِّ زمان وُجدوا مبدوءا بالنداء الذّي يصبح به الواعظ المنذر بالبعيد في مكانه، أو الغافل الذّي يشبه الغائب في حاجته إلى من يصيح به لينبهه، (...)، إنما بغيكم في الحقيقة على أنفسكم لأنّ عاقبة وباله عائد عليكم».[2]

وقد دلّت الآية الكريمة، على مجازاته سبحانه وتعالى للطغاة والباغين، وبأنّه معذبهم في الدنيا قبل الآخرة.

أمّا من حيث الانصراف إلى التكلم في آخر الآية الكريمة في (إلينا مرجعكم- ننبئكم) فإنّما يدلّ على أنَّ العودة إلى الله سبحانه وتعالى حقيقة لا مفرّ منها، لذلك لم ترد (إليه مرجعكم)، إضافة الى المبالغة في التهديد والوعيد بالجزاء الذي هو ملاقيهم، يقول صاحب التحرير والتنوير في سر هذا الانتقال «وجملة (ثم إلينا مرجعكم) عُطفت "بثمّ" لإفادة التراخي الرتبي لأنّ مضمون الجملة أصرح تهديدا من مضمون جملة (إنما بغيكم على أنفسكم) ، وتقديم المجرور قوله (إلينا مرجعكم) لإفادة الاختصاص، أي ترجعون إلينا لا الى غيرنا، تنزيلا للمخاطبين منزلة من يظنّ أنّه يرجع إلى غير الله، (...)، وتفريع (فننبئكم) على جملة (إلينا مرجعكم) تفريع وعيد على تهديد، واستعمل الإنباء كناية عن الجزاء لأنّ الإنباء يستلزم العلم بأعمالهم السيئة ».[3]

والمتأمل للآية الكريمة يدرك أنّها احتوت على عدّة فوائد من بينها توبيخ الكفّار على سوء صنيعهم، والتهديد والوعيد بالعذاب الذي سيلقونه يوم الرجوع إلى الله، وكذلك التعجب من

(1) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص132.
(2) محمد عبده، تفسير المنار، ج11، ص343.
(3) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص140.

أحوال المخاطبين، أي كيف أنّ الإنسان يرجع إليه سبحانه وتعالى في وقت كربه، ثم ما يلبث أن يجحد نعمة الله، وينسى فضله عليه، بطغيانه في الأرض.

رابعا/ من الخطاب إلى التكلم:

وأشهر مثال نورده في هذا الصدد الآية التي استشهد بها الكثير من العلماء في تعريفهم للالتفات، والمتمثلة في قوله تعالى﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾.[1]

يخبر الله سبحانه وتعالى عباده في الآية الكريمة، بامتنانه وفضله عليهم بأن سخّر لهم ما يركبونه، ويستخدمونه في تنقلاتهم، سواء كان ذلك في البرّ أو البحر، وأنّهم إذا ألمّ بهم كرب دعوا الله مخلصين، وإذا أصابهم ما يشتهون نسوا فضل الله عليهم.

أمّا بالنسبة للالتفات الوارد في الآية فيظهر بصورة جليّة في الانتقال الخطاب (يسيركم-كنتم) إلى ضمير الغيبة (بهم)، ولقد أولى العلماء والمفسرين اِهتمامهم بهذه الآية وحاولوا تبيان سرّ العدول فيها، واختلفت آراؤهم في ذلك فنجد الزمخشري يقول في سّر هذا الانتقال «فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة ؟، قلت: المبالغة، كأنّه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها، ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح». [2]

(1) يونس، الآية 22.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 126.

أمّا "فخر الدين الرازي " فقد نوّه إلى أنّ هذا النوع من الالتفات أي من الخطاب إلى الغيبة فإنما يدلّ على تبعيد المخاطبين من رحمة الله ومقتهم، يقول: «قوله ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ ﴾خطاب الحضور، وقوله ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ مقام الغيبة فهنا انتقال من مقام الحضور إلى مقام الغيبة، وذلك يدلّ على المقت والتبعيد والطرد وهو اللائق بحال هؤلاء، لأنّ من كان صفته أنّه يقابل اِحسان الله تعالى عليه بالكفران كان اللائق به ما ذكرناه ». (1)

ونجد كذلك " بدر الدين الزركشي" قد اتّفق رأيه مع رأي "الزمخشري" عندما بيّن أنّ الفائدة المرجوّة من وراء هذا الانصراف هي: التعجب من فعل هؤلاء النّاس بسبب طغيانهم في الأرض وكفرهم، حيث نجده يقول: «وفائدة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم تعجبه من فعلهم وكفرهم، إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة». (2)

والملاحظ على الآية الكريمة، أنّ الله سبحانه تعالى قد جمع في أوّل الآية النّاس مؤمنهم وكافرهم، لذلك جاءت مخاطبتهم، مخاطبة الحاضرين، ثمّ خصّص من هؤلاء النّاس الجاحدين نعمته عليهم، لذلك ورد الأسلوب بعدها عن طريق الغيبة يقول صاحب "التحرير والتنوير":« ومن بديع الأسلوب في الآية، أنّها لمّا كانت بصدد ذكر النعمة جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع السامعين، فلما تهيّأ الانتقال إلى ذكر الضرّ وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمير الغيبة (...) وهكذا أجريت الضمائر جامعة للفريقين اِلى أن قال ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾فإنّ هذا ليس من شِيم المؤمنين فتمخض ضمير الغيبة هذا للمشركين، فقد أخرج من الخبر ماعدا الذّين

(1) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، ج11، ص73.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص318.

يبغون في الأرض بغير الحقّ لأنّ الذّين يبغون في الأرض بغير الحقّ لا يشمل المسلمين »[1].

أمّا الفائدة التي اقتضاها العدول في الآية الكريمة هي فائدة التعجب من أحوال المخاطبين، لأن هؤلاء النّاس حالتهم تختلف بحسب ما يعتريهم من حوادث في حياتهم وبحسب مصابهم، فإذا أصابهم ما يشتهون نسوا فضل الله سبحانه وتعالى عليهم، ومضوا في طغيانهم يعمهون، وعاثوا في الأرض فسادا، وإذا ألمّ بهم ضيق اِلتمسوا النجاة والسلامة من الله تعالى.

خامسا/ من الغيبة إلى الخطاب:

ومن أمثلة هذا النوع من الالتفات في السورة نجد قوله تعالى﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠﴾[2]

يدلّ سياق الآية الكريمة على شدّة تمرّد الكفّار وعصيانهم، وتماديهم في تكذيب النبيّ صلى الله عليه وسلم، ومعارضته، فطلبوا منه أن يُنزل عليهم معجزة يقترحونها عليه لتصديقه يقول الزمخشري «أرادوا آية من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها، (...) وذلك لفرط عنادهم، وتماديهم وانهماكهم في الغيِّ». [3]

أمّا بالنسبة للالتفات الوارد في الآية الكريمة، فيتمثّل بالانصراف من الغيبة في قوله (أنزل عليه) بدل (عليك) إلى الخطاب في قوله (فقل)،والضمير مستتر وجوبا تقديره أنت، حيث لقّن الله سبحانه وتعالى نبيّه الكريم الجواب، بأن يخبرهم بأنّ هذا الأمر اِستأثر الله به في

(1) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص

(2) يونس، الآية 22.

(3) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 124.

علم الغيب عنده يقول الألوسي «... لأنّ ذلك من الغيب، وهو مختص به تعالى لا يعلمه أحد غيره جلّ شأنه، وإذا كان كذلك فانتظروا ما يوجبه اِقتراحهم إني معكم من المنتظرين إيّاه». [1]

وإيثار صيغة المضارع في (يقولون) إنّما تدلّ على استمرارهم في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما أورده صاحب "تفسير المنار" حيث يقول:«... وإنّما آثر المضارع على الماضي ليدلّ على استمرار هذه المقالة، وأنّها من دأبهم وعادتهم،(...) أي قد قالوا ولايزالون يقولون هلا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية كونية كآيات الأنبياء الذي يحدثنا عنهم»[2] وضمير الغائب في (عليه) يعود على النبي صلى الله عليه وسلم، حيث أول صاحب التحرير والتنوير قوله تعالى ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ﴾ بأحد وجهين:«إمّا أن يكون اِلتفاتا، واصل الكلام، لولا أُنزل عليك، وهو حكاية القول بالمعنى. وإمّا أن يكون هذا القول صدر منهم فيما بينهم ليُبيّن بعضهم لبعض شبهةً على انتفاء رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، أو صدر منهم للمسلمين طمعا في أن يردّوهم إلى الكفر».[3]

والفائدة من وراء هذا العدول في الآية الكريمة هي التهديد والوعيد، واخبار المشركين أنهم إذا لم يؤمنوا بالله ورسوله، فإنّ عذاب الله ملاقيهم، حينئذ يؤمنون حيث لا ينفعهم إيمانهم.

(1) الألوسي، روح المعاني، ج7، ص134.

(2) محمد عبده، تفسير المنار، ج11، ص330

(3) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص130.

أمّا النوع السادس من أنواع الالتفات على مستوى الضمائر والمتمثل في **الانتقال من الخطاب إلى التكلم** فلم يتم العثور على آية تمثله في سورة يونس، فهو على عكس الأضرب الأخرى، التّي تمثّل الانتقال على مستوى الضمائر، فهو نادر الوجود في القرآن الكريم يقول الدكتور "حسن طبل" في ذلك: «والواقع أنّ الالتفات في هذه الصورة مما يندر تحققه في لغة الكلام، وذلك للتوازي أو التباين التام بين موقفي الخطاب والتكلم، ففي الموقف أو السياق الواحد لا يتصور أن يكون الشخص الواحد – إلا على نحو من أنحاء التجوز–متكلما ومخاطبا أو مرسلا ومستقبلا في آن واحد». (1)

غير أنّ "الزركشي" قد استشهد لهذا النوع من الالتفات من الآيتين72 و73 ، من سورة طه قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾،وقوله تعالى من الآية 21 من سورة يونس﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾على أنّه سبحانه وتعالى نزل نفسه منزلة المخاطب .(2)

إلّا أنّ الإمام السيوطي قد نفى وجود هذا النوع من الالتفات في القرآن الكريم يقول: «ومثّل له بعضهم بقوله " فاقض ما أنت قاض ... ثم قال إنّ آمنّا بربّنا"، وهذا المثال لا يصحّ لأنّ شرط الالتفات أن يكون المراد به واحدا». (3)

(1) حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص116.
(2) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص317.
(3) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج2، ص109.

أمّا بالنسبة للأضرب الخمسة الأخرى من أنواع الالتفات، فقد وردت جميعها في السورة، غير أنّ الأكثر ورودا بينها هو العدول عن التكلم إلى الغيبة، فقد تمّ استخراج مثالين وتحليلهما لكن هناك آيات أخرى تمثّل هذا الانصراف نكتفي بذكرها مثل

قوله تعالى﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[1]

وقوله تعالى﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[2]

وقال أيضا﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾[3]

ووجه هذا النوع من العدول كما يقول الزركشي «أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع، حضر أو غاب، وأنّه في كلامه ليس ممن يتلوّن ويتوّجه، فيكون في المضمر ونحوه ذا لونين، وأراد بالانتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب، من قرعه في الوجه بسهام الهجر، فالغيبة أروح له، وأبقى على ماء وجهه أن يفوت.

(1) يونس، الآية 61.
(2) يونس، الآية 93.
(3) يونس، الآية 94.

كقوله﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ ﴾،حيث لم يقل " لنا" تحريضا على فعل الصلاة لحق الربوبية».[1]

وهناك نوع آخر من الالتفات أورده "الزركشي" في برهانه حيث ذكر أنّ "ابن الأثير" و"الخفاجي" وغيرهما ذكرا نوعا آخر من الالتفات وهو «بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه فيكون التفاتا عنه كقوله تعالى (غير المغضوب عليهم) بعد (أنعمت)، فإنّ المعنى غير الذين غضبت عليهم».[2]

وهناك قسمٌ آخر من الالتفات ورد في القرآن الكريم ذكره بعض العلماء أهمهم" ابن الاصبع المصري" وهو: إيراد مذكورين ثمّ يُخبر عن الأوّل منهما وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثاني، ثمّ يعود للإخبار عن الأوّل كقوله تعالى في سورة العاديات﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴾انصرف عن الاخبار عن الانسان إلى الإخبار عن ربّه، ثمّ قال منصرفا عن الإخبار عن نفسه﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ ﴾،حيث بيّن أنّ هذا يُسمّى التفات ضمائر، وهذا النوع موجود في القرآن الكريم فقط ولا يوجد في لغة العرب مثله.[3]

من خلال ما تقدّم من دراسة ظاهرة الالتفات في سورة يونس، واستخراج جلّ أنواعه الواردة في السورة وتحليلها تبيّن أن الالتفات على مستوى الضمائر أكثر وُرودا من الصور الأخرى له، من عدد، وأدوات وصيغ وغيرها.

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 316،317.
(2) المرجع نفسه، ص 325.
(3) ينظر: شوكت علي عبد الرحمن درويش، الالتفات نحويا في القراءات القرآنية، ص29.

الخاتـــــمـــــــة

الخاتمة

لقد كشفت الدراسات اللغويّة العديد من الجوانب الخفيّة في القرآن الكريم، حيث ركّزت على استخراج أساليبه، وظواهره وتحليلها بالتفصيل، ومن بين أهمّ هذه الأساليب، أسلوب الالتفات الذّي كان محطّ هذا البحث، وبعد الخوض في رحاب هذه الظاهرة تمّ التوصّل إلى بعض النتائج المستخلصة في الآتي:

– لم يذكر أحد من البلاغيين القدماء الالتفات باسمه الاصطلاحي بل اختلفت تسمياتهم في ذلك، وهذا يدلّ على أنّ البلاغيين ركّزوا على المعنى الذّي يؤديه الالتفات، ولم ينظروا إلى لفظه لذلك ظهر هذا الاضطراب في التسمية، فأُطلق عليه: الميل والانصراف والصرف والعدول، والرجوع، والانتقال، وشجاعة العربية ... إلخ فلم يعرف أيّ مصطلحٍ بلاغيٍّ آخر هذا التعدد المصطلحي، كما أنّ أوّل من اقترح اسمه الاصطلاحي الأصمعي، وقد جاء عرضا في كلامه.

– اعتُبِر الالتفات موضوعا تتقاسمه علوم البلاغة الثلاث التّي هي: علم المعاني والبيان والبديع، أمّا في علم المعاني فباعتبار كونه على خلاف مقتضى الظاهر، وفي علم البيان باعتبار أنّه إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، أمّا في البديع فمن حيث إنّه يجمع بين صور متقابلة في معنى واحد.

– لم يتوسّع أيٌّ من اللغويين أو النحاة في دراستهم للالتفات، وإنّما كانت لهم إشارات مجملة دون تفصيل فيها إضافة إلى أنّ أغلبهم لم يذكر إلاّ نوعين من أنواع الالتفات وهما الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن بين هؤلاء العلماء: "أبو عبيدة معمر بن المثنى"، و"عبد الله بن المعتز" و"قدامة بن جعفر" وغيرهما.

– أمّا من حيث الخضوع للقوانين والقواعد فإنّ الالتفات لا يخضع لهذه القوانين، إنّما هو مجرد تغيير أسلوبي يلجا إليه المخاطِب لتلوين كلامه، لكي لا يسير على نمط واحد فيه، لأنّ النفوس تسأم من الكلام إذا أخذ مأخذا واحدا.

الخاتمة

– عُدَّ الالتفات أسلوبًا بلاغيًّا تميَّز به القرآن الكريم، فلا تكاد تخلو منه سورة من سوره وخاصّة في مجال أساليب القول، إذ يكون الانتقال فيه بين التكلم والخطاب والغيبة، فينتج عن هذه العناصر ستة أساليب تمثل أبرز أنواع الالتفات عند جمهور البلاغيين حيث ارتبط عندهم بأساليب القرآن الكريم وإعجازه وبلاغته.

– إنّ من بين أكثر صور الالتفات ورودًا في سورة يونس التفات الضمائر، وكذلك في القرآن الكريم باعتباره خطاب بالدرجة الأولى لذلك تلوّنت أساليبه، كما أن هذا الانتقال لا يكون إلا لغاية معينة يقتضيها المقام، لذلك تنوّعت الفائدة التّي تُرجى منه، فإذا كان للمدح فإقامة الغائب مقام المخاطب زيادة في الاجتباء والتقرُّب، وإقامة المخاطب مكان الغيبة فيه جفاء وتبغيض.

– اعتنى المفسرون خاصّة ما كان منهم له اهتمام بالجوانب اللغويّة، كأبي حيّان الأندلسي والألوسي، والرازي، وبن عاشور وغيرهم بإبراز هذا الأسلوب في القرآن الكريم، فأبانوا النُكت والفوائد المبتغاة من وراء هذا الأسلوب وتجلّى ذلك في قولهم: ونُكتة هذا العدول، ومن باب الالتفات، وقولهم: وهذا على سبيل الالتفات.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم برواية حفص عن نافع.**

- قائمة المصادر والمراجع:

1-إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط3، 1966.

2-ابن الأثير (أبي الحسين علي بن أبي الكرم، بن عبد الواحد الشيباني)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى الباني وأولاده، القاهرة، مصر، (دط)، 1939، ج2.

3-أحمد الشايب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط8، 1991.

4-الألوسي (أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي 127هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: محمد حسين العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط)، 1997، ج11.

5-امرؤ القيس (أبو وهب حندج بن حجر)، ديوان امرؤ القيس، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت لبنان، (دط) (دس).

6-إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع، والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1996.

7-بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2006.

8-البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي،)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد صبحي بن حسين حلاق، مؤسسة الايمان، بيروت لبنان، ط1 ،2000، ج1.

9-تامر سلّوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1983.

10-تمّام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، الأردن، ط3، 1998.

11-ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت لبنان، (دط)، (دس)، ج2.

12-حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (دط)، 1998.

13-حمدي الشيخ، الوافي في تسيير النحو والصرف، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، (دط)، 2009.

14-أبو حيّان الأندلسي (محمد بن يوسف)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ج5.

15-الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، (دط) (دس).

16-رجاء عيد، البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، ط2، دس.

17-عبد الرحمان حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم دمشق سوريا، ط1، 1996، ج1.

18-الزركشي:(بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيقك محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة، مصر، (دط)، (دس) ج3.

19-الزمخشري، (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري)، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1998، ج3.

20-سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط3، 1992.

21-عبد السلام المسدّي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، الأردن، ط3، (دس).

22-سيباويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988، ج2.

23–السيوطي (عبد الرحمان بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضيري الأسيوطي) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، (دط)، 1992، ج1.

24–السيوطي، الأشياء والنظائر في النحو، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، (دط) ، (دس) ج1.

25–السيوطي، المزهر في علوم اللغة، وأنواعها، تعليق: محمد أحمد جاد المولى بيك وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروتن (دط)، 1986، ج1.

26–السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (دط)، (دس) ج1.

27–الشريف الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني 813هـ)، الحاشية على المطوّل، شرح تلخيص مفتاح العلوم (في علوم البلاغة)، تعليق: رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2007.

28–شكر محمود عبد الله، دلالة الجملة الاسمية في القرآن الكريم، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان الأردن (ط1)، 2009.

29–شوكت عبد الرحمان درويش، الالتفات نحويا في القراءات القرآنية، منشورات أمانة، عمان الأردن، (دط)، 2008.

30–عباس يونس الحداد، الأنا في الشعر الصوفي، ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار، سوريا، (ط2)، 2009.

31–عبد العزيز الملوكي، الأسلوب في القرآن الكريم، سورة البقرة أنموذجا، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014.

32–ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط)، 1963.

33–فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000.

34–فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب القاهرة، مصر، (دط)، 2004.

35–الفخر الرازي (محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين عمر)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1981، ج11.

36–الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (دط)، 1999، ج1.

37–عبد القادر حسين، فن البلاغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (دط)، 2006.

38- عبد القاهر الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني)، دلائل الاعجاز في علم المعاني، تعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2001.

39-القرطبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي)، الجامع للأحكام البيان والمبيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ج10،11.

40-ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 1986، ج3.

41-كمال الدين البحراني (ميثم بن علي بن ميثم بن المعلى البحراني) أصول البلاغة تحقيق: عبد القادر حسين، دار الشروق، القاهرة، مصر، (دط)، 1981.

42-عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

43-محمد أحمد خضير، الأدوات النحويّة ودلالتها في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، مصر، (دط)، 2001.

44-محمد المبارك، استقبال النص الغائب عند العرب، الهيئة العامة، الإسكندرية، مصر، (دط)، (دس).

45-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس (دط)،1984، ج10.

46-محمد عبده، تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، تأليف: محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، مصر، ط2، 1947، ج1.

47-محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

48-محمد نور الدين المنجد، الترادف في القرآن الكريم (بين النظرية والتطبيق) المطبعة العلمية، دمشق، سوريا، ط1، 1997.

49-مرتضي الزبيدي (محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضي الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شتيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، مجلد7، 1994.

50-مصطفى شريقن، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبّة الجزائر، (دط)، 2009.

51-مصطفى صادق الرافعي، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

52-مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف الاسكندرية (دط)، (دس).

53-المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، (دط)، 1998.

54-ابن منظور، (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري)، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج1.

55-عبد الناصر هلال، الالتفات البصري من النص إلى الخطاب، (قراءة في تشكيل القصيدة الجديدة) دار الايمان للنشر والتوزيع، (دب)، (دط)، 2009.

56-ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت لبنان، (دط)، 2001، ج2.

57-يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، الأصلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1999.

58-يوسف أبو العدوس، الأسلوبية رؤية وتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات	رقم الصفحة
مقدمة	أ-ج
مدخل: الأسلوب والالتفات والضمير مفاهيم وتجليات	
أولا- تعريف الأسلوب	**10-6**
1- لغة	6
2-اصطلاحا: أ-عند القدماء	8-6
ب-عند المحدثين	10-8
ثانيا-تعريف الالتفات	**17-10**
1-لغة	11-10
2-اصطلاحا: أ-عند القدماء	15-11
ب-عند المحدثين	17-15
ثالثا-تعريف الضمير	**21-17**
1-لغة	18-17
2-اصطلاحا أ-عند القدماء	20-18
ب-عند المحدثين	21-20
رابعا-الأسلوب والالتفات أي علاقة بينهما؟	**24-21**

الفصل الأول: شروط وصور الالتفات في سورة يونس.

أولا–شروط الالتفات 27–26

ثانيا–فوائد الالتفات 29–27

ثالثا–حجاجية الالتفات 32–29

رابعا–من صور الالتفات في السورة 45–32

الفصل الثاني: الالتفات بمقامات الضمائر

أولا–من التكلم إلى الخطاب 50–48

ثانيا–من التكلم إلى الغيبة 52–50

ثالثا–من الغيبة إلى التكلم 56–53

رابعا–من الخطاب إلى التكلم 59–57

خامسا–من الغيبة إلى الخطاب 63–59

الخاتمة 66–65

قائمة المصادر والمراجع 75–68

الفهرس 78–77

ملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة خاصة بالقرآن الكريم، وردت فيه بكثرة ألا وهي الالتفات، الذي يعدُّ أسلوبًا بلاغيًا رفيعًا، وهو من الأساليب التي يخرج فيها الكلام عن مقتضى الظاهر، باعتباره انتقال من صيغة الخطاب أو الغيبة أو التكلم إلى صيغة أخرى منها بشرط أن يكون الضمير في المُلتفت إليه عائدا إلى نفس الضميرالمُلتفت عنه.

والغرض من استعمال هذا الأسلوب هو عدم السير على وتيرة واحدة في الكلام.

Summary :

This research deals withprivateazahhshare the holyquran and receivedit in abundance,namely to payattentionwhichis the wayrhetorical senior one of the ways in whiche to speak as a more formula or speaking to conxienceanother formula whichdevistefrom the appropriateapparnetproviedthatconxiencealmmeltvthim back to the same conscience almlnafthim.

The purpose of the use of this style is not walk on walk on the pace of one to speak.

الملخّص:

يعدّ الالتفات من الظواهر اللّغوية الّتي يخرج فيها الكلام عن مقتضى الظّاهر، وهو فن من الفنون البلاغيّة الّتي تمثّل الانتقال من معنى إلى آخر، أو من ضمير إلى آخر بشرط أن يكون الضمير الثّاني عائدا على الضمير الأوّل، وهذا الانتقال يكون بين ثلاث مقامات وهي (التكلم، والخطاب، والغيبة) وبهذا ينتج عن هذا العدول ستّة عناصر تمثّل أشهر صور الالتفات.

وقد اشترط جمهور البلاغيين شرطين أساسيين لتحقّقه في الكلام و ذلك بـ:

- أن يكون في جملتين.
- أن يكون الضمير الملتفت به يعود على الضمير الملتفت عنه.

والالتفات لا يأتي عبثا في الكلام؛ إنّما يكون لفوائد معيّنة، وقد قسّمها العلماء إلى فوائد عامة وأخرى خاصة، أمّا فوائده العامة فأوردها الزّمخشري في قوله على أنّه على عادة العرب و تفننّهم في الكلام، وأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريّة لنشاط السّامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، لأنّ الكلام إذا أخذ مأخذا واحدا دفع بالسّامع إلى السأمة والملل.

أمّا فوائده الخاصة فتختلف باختلاف مقاصد المتكلّم وباختلاف المقام، نذكر من بين هذه الفوائد:

- تعظيم شأن المخاطب.
- التلطف والترفق بالمخاطب.

- قصد التوبيخ.
- المبالغة في التعجب من أحوال المخاطبين.
- قصد الاختصاص.
- التنويع في العبارة و الإيجاز في التعبير.
- أن يكون الغرض منه التتميم لمعنى مقصود للمتكلم.

أمّا عن وظائف الالتفات الحجاجيّة ،فقد أوردها الدكتور عبد الله صولة في كتابه الحجاج في كتابه القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية في مجموعة من النقاط أهمها:

- جعل الشيء مدار الالتفات أشد حضورا في ذهن المتلقي.
- إعتبار الشيء مدار الالتفات كأنّه قد تحقّق و قُضي الأمر و ذلك لصحة وجود هذا الشيء، و يكون هذا الضرب عبر الالتفات الزمني.
- التشنيع على الخصوم و إشهاد السامعين على فساد صنيعهم.
- كما أن التعبير بواسطة الضمير (أنتم)الذي يلجأ إليه الخطاب القرآني إلى التعبير بواسطته، يدل على الاستمرارية،فبواسطة هذا الضمير يُحس قارئ القرآن أنّ الخطاب موّجه له

وبناء على ما تقدّم تُطرح الاشكالية التالية :لماذا عُدت الضمائر السمة المميِّزة للالتفات و الّتي يُعرف بها؟.

وقد خُصّص مجال هذا البحث لدراسة هذه الظاهرة اللغويّة على القرآن الكريم و بالضبط في سورة يونس ،فكان البحث موسوما **بأُسلوب الالتفات بمقامات الضمائر**.

ولقد جاءت هذه الدراسة بدافع اكتشاف بعض أسرار البلاغة القرآنية بالإضافة إلى الطابع اللغوي الخاص الذّي يحمله القرآن الكريم في مفرداته و تراكيبه و أسلوبه كذلك إبراز أهم الجوانب الّتي يتميّز بها القرآن الكريم عن غيره من كلام البشر.

وإنّ الهدف من البحث هو الإجابة عن إشكاليته من خلال الوقوف على جلّ الالتفاتات الواردة في السورة و تحليلها و بيان فوائدها.

وقد تمّ الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة هذا اللون البلاغي،نظرا للعلاقة الّتي تربط بين طبيعة الموضوع و المنهج، و ذلك بإتباع الخطّة التالية:

بين المقدمة و الخاتمة مدخل و فصلين،المدخل تأسيسي تحت عنوان:الأسلوب و الالتفات و الضمير مفاهيم و تجليات،فخصّص للمفاهيم العامّة لكلّ من الأسلوب و الالتفات و الضمير لغة و اصطلاحا عند كلّ من القدماء و المحدثين ، كذلك تمّ فيه إبراز العلاقة التي تربط بين الالتفات و الأسلوب ،أمّا الفصل الأوّل المعنون بشروط و صور الالتفات في سورة يونس فقد احتوى على أربعة عناصر أوّلها:شروط الالتفات، و ثانيها: فوائد الالتفات ليليها حجاجية الالتفات ،أمّا العنصر الرابع فكان حول صور الالتفات الواردة في سورة يونس، ثم يلي بعد ذلك الفصل الثاني الموسوم بالالتفات بمقامات الضمائر،فأُدرج ضمنه أشهر أنواع الالتفات و الذّي يُعرف به وهي مقامات الضمائر بأنواعا الستة وهي:

- من التكلّم إلى الخطاب.

- من التكلّم إلى الغيبة.
- من الخطاب إلى التّكلّم.
- من الخطاب إلى الغيّبة .
- من الغيبة إلى التّكلّم.

ثمّ يلي بعد هذا الفصل الخاتمة الّتي تمّ فيها التّركيز فيها على أهم النتائج المستنبطة من البحث:

– لم يذكر أحد من البلاغيين القدماء الالتفات باسمه الاصطلاحي بل اختلفت تسمياتهم في ذلك، وهذا يدلّ على أنّ البلاغيين ركّزوا على المعنى الذّي يؤديه الالتفات، ولم ينظروا إلى لفظه لذلك ظهر هذا الاضطراب في التسمية، فأُطلق عليه: الميل والانصراف والصرف والعدول، والرجوع، والإنتقال، وشجاعة العربية ... إلخ فلم يعرف أيّ مصطلحٍ بلاغيٍّ آخر هذا التعدّد المصطلحي، كما أنّ أوّل من اقترح اسمه الاصطلاحي الأصمعي، وقد جاء عرضا في كلامه.

– اعتُبر الالتفات موضوعا تتقاسمه علوم البلاغة الثلاث التّي هي: علم المعاني والبيان والبديع، أمّا في علم المعاني فباعتبار كونه على خلاف مقتضى الظاهر، وفي علم البيان باعتبار أنّه إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، أمّا في البديع فمن حيث أنّه يجمع بين صور متقابلة في معنى واحد.

– لم يتوسّع أيٌّ من اللغويين أو النحاة في دراستهم للالتفات، وإنّما كانت لهم إشارات مجملة دون تفصيل فيها إضافة إلى أنّ أغلبهم لم يذكر إلاّ نوعين من أنواع

الالتفات وهما الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن بين هؤلاء العلماء: "أبو عبيدة معمر بن المثنى"، و"عبد الله بن المعتز" و"قدامة بن جعفر" وغيرهم.

– أمّا من حيث الخضوع للقوانين والقواعد فإنّ الالتفات لا يخضع لهذه القوانين، إنّما هو مجرد تغيير أسلوبي يلجا إليه المخاطِب لتلوين كلامه، لكي لا يسير على نمط واحد فيه، لأنّ النفوس تسأم من الكلام إذا أخذ مأخذا واحدا.

– عُدَّ الالتفات أسلوبًا بلاغيًّا تميَّز به القرآن الكريم، فلا تكاد تخلو منه سورة من سوره وخاصّة في مجال أساليب القول، إذ يكون الانتقال فيه بين التكلم والخطاب والغيبة، فينتج عن هذه العناصر ستة أساليب تمثل أبرز أنواع الالتفات عند جمهور البلاغيين حيث ارتبط عندهم بأساليب القرآن الكريم وإعجازه وبلاغته.

– إنّ من بين أكثر صور الالتفات ورودًا في سورة يونس التفات الضمائر، وكذلك في القرآن الكريم باعتباره خطاب بالدرجة الأولى لذلك تلوّنت أساليبه، كما أنّ هذا الانتقال لا يكون إلا لغاية معينة يقتضيها المقام، لذلك تنوّعت الفائدة التّي تُرجى منه، فإذا كان للمدح فإقامة الغائب مقام المخاطب زيادة في الاجتباء والتقرُّب، وإقامة المخاطب مكان الغيبة فيه جفاء وتبغيض.

– اعتنى المفسرون خاصّة ما كان منهم له اهتمام بالجوانب اللغويّة، كأبي حيّان الأندلسي والألوسي، والرازي، وبن عاشور وغيرهم بإبراز هذا الأسلوب في القرآن الكريم،

فأبانوا النُكت والفوائد المبتغاة من وراء هذا الأسلوب وتجلّى ذلك في قولهم: ونُكتة هذا العدول، ومن باب الالتفات، وقولهم: وهذا على سبيل الالتفات.